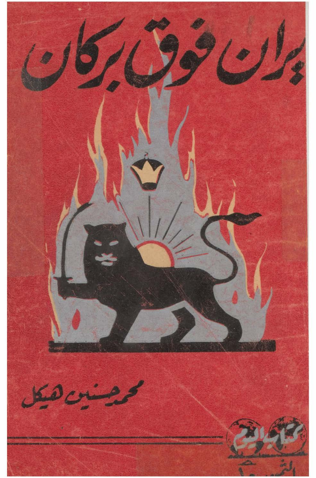

يران فوق بركان
محمد حسنين هيكل
كتاب اليوم

ايران فوق بركان

محمد حسنين هيكل



ثمة حقيقة رهيبة قابلتها فى كل عواصم الشرق الاوسط !
قابلتها فى طهران كما قابلتها فى دمشق ، وطالعتنى فى القاهرة كما طالعتنى فى بغداد ، ورايتها فى بيروت كما رايتها فى عمان
تلك الحقيقة هى ان مشاكل هذا الجزء من العالم واحدة
فمهما تعرجت خطوط حدوده، ومهما تعددت اسماء عواصمه ومهما اختلفت طبائع اهله ولهجاتهم ، مهما يكن من امر ذلك كله ، فانه يخضع لنفس المؤثرات ، وتتقاذفه نفس التيارات ، وتمزقه نفس المؤامرات ، وتفترسه نفس القوى !
بل لقد خيل الى اخيرا وانا فى طهران استمع الى اسباب مقتل رزم اراه ، اننى فى القاهرة ، اعيش فى نفس الظروف التى عشت فيها ايام مقتل النقراشى ، او اننى فى دمشق ، استمع الى سامى الحناوى يشرح لى لما ذا قتل حسنى الزعيم !
نفس الحيرة والتخبط والارتباك ، ونفس الشكوك والآراء والاوهام ، ونفس القلق والكبت والغليان !
وبعد . . .
فلقد عشت شهرا فى ايران ، فترة اشتداد ازمتها الطاحنة على اثر مقتل رئيس وزرائها الاسبق ـ الجنرال رزم آراه ـ فى الاسبوع الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥١
ولقد ذرعت ايران من الشمال الى الجنوب ، من جولفا على الحدود الروسية الى عبدان على الخليج الفارسى ، وقضيت اياما طويلة فى ظلمات طهران وسراديبها الغامضة
وهذا الكتاب ليس الا تحقيقا صحفيا سريعا لما رأته عيناى وسمعته اذناى فى تلك الايام العجيبة المثيرة
وما اكثر الاحداث التى وقعت ولم تلمحها عيناى
وما اكثر الاسرار التى قيلت ولم تلتقطها اذناى !

محمد حسنين هيكل



الفصل الأول

« تصرفوا بقسوة لكي لايقول الناس انكم متكلفون ! »

(شكسبير)

السـلام فى طهران ـ هو العزيز ـ رجلهم
المقدس ـ الأب والابن ـ رجل الحرب ورجل
السياسة ـ جنازة فى مسجد الشـاه ـ
زندباد اسلام ـ دم على المصحف ـ عبد الله
.. خادم الله ـ رصاصات مباركة ـ الشـاه
لايصدق ـ الجثة السعيدة ـ موردباد
ترومان ـ يحيا تأميم البترول .

١ - طهران في احضان كابوس

اعصـــــابها من حديد هذه العاصمة الايرانية المترامية تحت جبال شمران !

لقد كانت انحاء العالم تتجاوب - في قلق ورهبـــــة - باصداء الحـوادث التي كانت مسرحا لهاتى الساعات الاخـيرة ، ومع ذلك فها هي ذى طهران - بنفسها - تبدو للوهلة الاولى كأنهــــا واحة سعيدة خضراء بعيدة عن المشاكل والقلاقل ! . .

لقد بدا مطارها الكبير ، مطار مهـرباد - اى قرية الشمس - ساكنا هادئا يفـوح بعبير الزهور المتألقة فى شمس الأصيل .

وكان الطريق من مطار مهرباد الى قلب طهران ينســـاب بين التلال والوهاد فى امن وسلام . .

وكانت شــــوارع العاصمة الايرانية تمرح بالحركة السعيدة المطمئنة . .

وفجـــأة والسيارة تقطع بنا « خيابان شاه » - شارع الشاه - قال سيفتون ديلمر كبيـر مــراسلى جــريدة الديلى اكسبريس الانجليزية :

- عجيب . . ألهذا جئنا هنا ؟

واشـــار الى الشارع المتألق بالانوار واستطرد :

- لا اظن ان صحفنا ارسلتنا الى طهران لكى نرســل لها قصائد شعر عن السلام والهدوء فيها !؟ . .

ونظـر الى ديلمر متحمسا ، وكنت لا ازال ارقب موكب السعداء السائرين فى « خيابان شاه » فى تلك الساعة من المساء .

وقال ديلمر صاخبا :

ــ مـــاذا ؟ ألا ترد ؟ .. ألا يدهشك هذا السلام ، هذا بلد قتل رئيس وزرائه منذ ساعات ،واندفعت المطـــامع والمؤامرات والدســائس تفترس مستقبل شعبه من الداخل ومن الخارج ، والعالم كله يضع يده على قلبـه رهبة مما سوف يحدث فى طهران وتبادر جرائدنا فترسلنا الى هنا .. أنت من القاهرة وانا من لندن فماذا نرى ؟ .

فقلت له :

ــ هــــذا السلام .. وهذا الهدوء ! ..

وازدادت ثورة ديلمر ، واطلق زفرة يائسة وهو يقول :

ــ انا شخصيا أكاد أجن . .

والتفت فجـــأة الى سائق السيارة موجها اليه الحديث :

ــ الى أى حد حزن النـــاس على وفاة الجنرال رزم آراه ؟ .

وفتح السائق زجاج نافذته ،والتفت الى ديلمـــر ، وقلب شفتيـــه ، ثم اتجه الى النافذة المفتوحة وهـــو يردد اسم «رزم آراه » .. ثم بصـــق على ارض الشارع ! ! ..

وكانت المفاجـــأة أكثر مما تحتملها اعصـــاب ديلمر بجسده البـــدين ، ومزاجه المتقلب ،وانفعالاته المتلاحقة ، فالتفت الى قائلا فى غضب :

ــ هل رأيت ماذا فعل هــذا المجنون ؟ .. لقـــد سألته عن رئيس وزراء بلاده الذى قتـــل اليـــوم فكانت اجابته هذه « البصقة » التى قذفها ببساطة الى عرض الطريق ! ..

وكانت هناك مفاجـــأة ثانية ،تنتظـــر اعصـــاب ديلمر ، على رصيف الشــــارع أمام فندق نادر نادرى فى خيابان شاه

لقد وقف بائع الصحف الذى يفــــرش جــــرائده على الارض أمام الفندق ، يصيح بأعلى صوته مناديا اسماءها ، وتوقفنا

ونحن ننزل من السيارة وندخل الفندق ـ لنلقى نظرة عابرة على المجموعة العجيبة المرصوصة على الارض من مجلة « أصناف » .

وكانت المفاجأة ..

فى واجهة المجلة رسم يمثل العلم البريطانى ، عليه صورة للملك جورج السادس ملك الانجليز ، ووراء صورة الملك ، صور أخرى لتشرشل وبيفن ،وقد بدا الجنرال رزم آراه ـ رئيس الوزراء الذى قتل ـ فى الصورة منحنيا فى اجلال يقبل العلم بينما امتدت يد ملاك من السماء قابضة على مسدس ينطلق منه الرصاص الى راس الجنرال الذى تفجر منه الدم ، وفوق الصورة عنوان كبير كتب فيه : « القبلة الأخيرة » !!

ووضع ديلمر يده على راسه كأنما يمنعه من ان ينفجر ، وصاح :

ـ يا اله السموات !

وكانت هناك ـ على اى حال ـ مفاجآت كثيرة أخرى تنتظر « ديلمر » ، وتنتظرنا جميعا فى تلك الليلة الهائلة فى طهران . .

الانباء تسرى فى آفاقها كشهب الليل المنطلقة فى الظلمات وصوت الرصاصات الاربع التى اردت الجنرال رزم آراه ـ أو الرجل القوى كما كانوا يسمونه فى ايران وخارج ايران ـ مازال يدوى فى الاسماع

ونوافذ القصر الملكى ـ قصر المرمر نفسه ـ ومجموعة القصور المحيطة به ـ وكذلك نوافذ وزارات الحكومة ، ودور السفارات والمفوضيات الاجنبية ، كانت مضاءة حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وكان رجالها المسئولون جميعا وراء مكاتبهم ينتظرون التطورات الجديدة ..

ومواكب الاشاعات تنساب فى خفة الاشباح فتداعب المقاعد تحت أصحابها ثم تهزها بعنف وقسوة !

وكان الشاب الذى قتل رئيس الوزراء منذ ساعات قد قال للمحققين :

ــ انى متعب فاتركونى برهة لاستريح ! ..

وتركوه فاذا هو يستغرق فى النوم ــ هادئا كاطياف الاحلام ! ــ لمدة خمس ساعات ، ثم يستيقظ من النوم ليلقى تحت اقدام المحققين بقنابل تنفجر واحدة بعد الاخرى ..

« نعم قتلت رزم آراه »

« لم يكن لى شركاء فى شرف قتل الخائن ! »

«لقد امرتنى (فدائيان اسلام) ان اقتله فنفذت الامر »

وفى نفس الوقت ــ خارج غرفة التحقيق ــ كانت هناك قنابل اخرى تنفجر ، ويتجاوب صداها مع ما حدث داخل غرفة التحقيق . .

خرج «نواب صفاوى» او « ناثاب صافاقى » ــ كما ينطقونها فى ايران ــ ببيان وقعه بوصفه الرئيس التنفيذى لجمعية « فدائيان اسلام » ــ الدينية الارهابية ــ يقول فيه بعد مقدمة قصيرة مانصه :

« ان البطل الذى قتل رزم آراه الخائن ادى واجبه »

وبعدها بقليل اصدر آية الله كاشانى ــ الزعيم الروحى الكبير فى ايران بيانا ثانيا يقول فيه :

« ان الرصاصات التى اردت رزم آراه قتيلا ، كانت رصاصات مباركة ، مصحوبة بتوفيق الله .

لقد كسبنا معركة البترول ، وسيؤمم البترول على رغم انف الخائن المضرج بدمه »

ثم انفجرت القنبلة الثالثة ــ خارج غرفة التحقيق ــ فى شكل بيان اصدرت به جريدة اصناف ملحقا خاصا .

والبيان الجديد موجه الى صاحب الجلالة الشاه محمد رضا بهلوى وكانت لهجته تجديداعجيبا فى اساليب مخاطبة الملوك بدا البيان على النحو التالى :

« هو العزيز » (اى الله وحده العزيز)

ثم عبارة : « بسر بهلوى » (اى يا ابن بهلوى ..)

ثم ، بالحرف الواحد :

« يجب أن تعتذر الخليل طهمسبى ـ قاتل رزم آراه ـ عما لحقه من عناء من جراء القبض عليه ـ ! ـ ويجب ان تطلق سراحه بشرف وكرامة قبل ان تمر ثلاثة ايام ، والا فان جميع المسئولين عن القبض عليه ، سينزل بهم نفس العقاب الذى أنزل « برزم آراه »

يجب أن تطلق سراح رجلنا المقدس خلال هذه الأيام الثلاثة ان لم تفعل هذا فانت تقترب من الجحيم خطوة فخطوة ! »

وانطفات الأنوار فى طهران مع الفجر .

واستلقت العاصمة المتعبة المرهقة ، فى أحضان كابوس رهيب ، تحاول أن تختلس غمضات تساعدها على الغد

وكانت جثة رزم آراه التى مزقها الرصاص ، لاتزال ـ خلال هذا كله ـ موسدة على سرير فى مستشفى ابن سيناء ، ملفوفة بالعلم الايرانى ، وحولها اربعة ضباط فى نوبة حراسة عسكرية !! ..

٢ ـ كان رزم آراه يريد اعتزال السياسة

وكانت مفاجآت تلك الليلة فى طهران تبدو مثيرة مخيفة على وهج الرصاصات الاربع التى ومضت فى الصباح

وصرعت «رزم آراه» قتيلا فى ساحة مسجد الشاه ! .

كان «رزم آراه» قداستيقظ من نومه فى الساعة السادسة صباحا ..

وقالت لى زوجته — فيمابعد — وكانت قد اصبحت ارملة حين قابلتها فى بيتها — قالت لى بعد أن ظلت خارج الغرفة ربع ساعة تجاهد تاثرها حتى تدخل الى ذلك الصحفى القادم من مصر رافعة راسها مسيطرة على الدموع :

« لقد قام من نومه على صوت ابننا الصغير ، وكان قد بدأ يجرى فى انحاء البيت ويملأها كلاما .. وصياحا ..

وكان زوجى يحب هذا الطفل ويؤثره على اخوته

وفتح زوجى باب غرفة نومه ، ونادى الطفل الصغير ، ثم اخذا يلعبان معا لعبتهما المفضلة .. ابنى الطفل يزوم ويكشر ملامح وجهه مقلدا السباع — كما كان يتصور — وابوه — زوجى — الجنرال — يتظاهر بالخوف والهلع فيشتد صياح الطفل شاعرا بالانتصار ، ويلعلع صوته فى البيت صائحا .

— « هوه .. هوه »

ثم تختلط اصداء هذا الصوت ، بضحكات الأب والابن معا

وقالت الام ، الزوجة ، ارملة رئيس الوزراء القتيل :

— هكذا بدأ اليوم فى بيتنا فى ذلك الصباح المشئوم

ولم تكمل عبارتها فقد نهضت فجأة ، وانفلتت خارجة من الغرفة ، وقال لى شقيقها — وكان يحضر مقابلتنا — بصوت يختلج تأثرا :

— ان اختى تكره ان يراها احد وهى تبكى !

وغادر الجنرال رزم آراه بيته فى الساعة السابعة والنصف

صباحا ، متجها الى منزل والده يزوره ، ورزم آراه الاب شيخ عجوز يقترب من المائة سنة في خطوات واهنة ويرقد في فراشه بأمر الاطباء لايغادره ابدا

وجلس رئيس الوزراء على حافة فراش ابيه يتحدث معه

ولقد روى لى رزم آراه الاب - والد الجنرال القتيل - فيما بعد تفصيلات الحديث الغريب الذي دار بينه وبين ابنه في ذلك الصباح الموعود !

كانت السنون قد نهشت حنجرة صوته ، وكان الأسى قد احرق مابقى من اوتارها وخرجت الكلمات محطمة من فم الشيخ المتهدم :

« الغريب انى فى صباح ذلك اليوم ، الذى زارنى فيه ، قلت له :

« ياعلى ، انت مثلى رجل حرب لاتعرف كيف تلف وكيف تداور ، وسياسة ايران اليوم ليس فيها الا لف ودوران ، وأنا أبوك وانا الذى ربيتك سواء فى البيت او فى حياتك العسكرية ، وانا اعرف ان الرياء ليس من طبائعك ، والرياء عدة السياسى ، فلماذا لاتترك رئاسة الوزارة لمن يعرفون كيف يدورون وكيف يلفون ؟ » .

ومضى رزم آراه الاب العجوز ، وقد بدا صوته المرتعش كذبالة مصباح فرغ منه الزيت :

« والاغرب أن ابنى بدأ مقتنعا بكلامى فقد قال لى :

« اقسم لك يا ابى انى لا اريدان ابقى فى رياسة الوزارة يوما واحدا اكثر مما ينبغى ، وانا انتظر حتى تمر أزمة البترول وتهدأ حدة الموقف ثم انسحب من الميدان ! »

وخرج الجنرال رزم آراه من بيت ابيه الى رئاسة الوزارة فى قصر جولستان ..

وقال لي مدير مكتبه فى رئاسة الوزارة فيما بعد :

ـ لقد وصل الى مكتبه فى الساعة التاسعة صباحا

وكان مكتبه فى ذلك الصباح الاسود مليئا بالملفات والمشاكل ، ولما استقر على مقعده ناداني ليقول لى :

ـ انى اريد ثلاث ساعات هادئة هذا الصباح ، لان امامى عدة امور يجب ان ابت فيها برأى وعليك ان تجد لك طريقة فى الزوار الذين يريدون مقابلتى اليوم ، تصرف معهم كما تريد ، ولكن لاتسبب لى مشكلات مع احد

ومضى مدير مكتب رزم آراه يقول لى :

« وقلت له : ولكن ياسيدى الرئيس انك لن تستطيع ان تبقى فى مكتبك هذه الساعات الثلاث ، ان عليك ان تحضر جنازة فى الساعة العاشرة والنصف

وقال الجنرال :

ـ آه .. كنت نسيت هذه الجنازة .. فى أى مسجد هى ؟

قلت له :

ـ فى مسجد الشاه

واكب الجنرال على مكتبه يفتح احد الملفات وهو يردد دون وعى :

ـ « فى مسجد الشاه .. فى مسجد الشاه »

ومضى مدير مكتب رزم آراه فى حديثه :

« واضطررت فى الساعة العاشرة والربع ان اطرق باب غرفة الجنرال وادخل ، ورفع راسه ثم بادرنى :

ـ اعرف .. اعرف ، تريد ان تذكرنى بموعد الجنازة فى مسجد الشاه

وهززت رأسى وخرجت ، واكب الجنرال على الورق من

جديد ، ومرت الدقائق ، وأصبحت الساعة العاشرة والنصف ، أى أن الجنــازة بدأت فعــلا فى مسجد الشاه ، ورئيس الوزراء ما زال هنا لم يغادر مكتبــه فى قصر جولستان ٠

وطرقت البــاب مرة ثانية ودخلت ، وأقفل الجنرال ملفا كان يدرسه وهم واقفا وهو يقول :

ــ لك حق ٠٠ سوف أذهب حالا ٠٠

ونظر فى ساعته واستطرد : ياه ٠٠ لقد بدأت الجنازة فعلا !

وسكت مدير مكتب رزم آراه ، وطــال سكوته ، وكان بصره يدور ذاهلا فى فضاء الغرفة ، ثم قال :

ــ لم يكن يدرى أنهــا ستكون جنازته أيضا !!

ولقد روى لى « فريدون محمدى » الحارس الخاص للجنــرال رزم آراه تفصيلات المفاجأة الضخمة التى وقعت فى مسجد الشاه فى الدقائق التاليــة

وكان « فريدون محمدى » حين قابلته لا يزال راقدا فى فراش مرضه فى مستشفى طهران ، جريحا من طعنة خنجر نفــذت الى ظهره من يد مجهول هو شريك لقاتل رزم آراه فى مسجد الشاه

وبدأ « فريدون محمــــدى » قصته بالحديث عن نفسه :

« لقد كنت مع الجنرال فى الجيش ، وكنت أنا وثلاثة من زملائى نؤلف فرقة حراسته حينما كان رئيســا لهيئة أركان حرب الجيش ، فلما تولى رئاسة الوزارة خلعنا الملابس العسكرية كما خلعها وتبعناه الى قصر جولستان »

ووصل فريدون الى قصــة ذلك الصباح العجيب :

« كانت هناك جنازة فى مسجد الشاه لأحد كبار أئمــة الدين ، توفى ، ورأى الجنرال أن يشترك رسميا فى جنازته ٠٠

ووصـل — ونحن وراءه — الى مسجد الشاه متاخرا ربع ساعة عن موعد بدء الجنازة

وكان المسجد غاصا بالناس ، وتقـدمت امام الجنرال ادفع الجماهير المحتشدة وافسح طريقا لرئيس الوزراء ، ودخلنـا الباب فى سلام ثم اجتزناه الى السـاحة الداخلية للمسجد ، وكان الجنرال متعجلا الى درجة انه كان ورائى مباشرة ، وسمعته أكثر من مرة يهمس

— اسرع .. اسرع والا فاتتنا الصلاة على الجثمان !

وفجأة سمعت دويا ، وكانت دلالته واضحة لمعت فى ذهنى كالبرق :

— هذا طلق نارى !

ودوى طلق آخر ، وثالث ، ورابـع ، ثم انبعث صـوت اجش يقول :

— زندباد اسلام ، زندباد اسلام

(اى يحيا الاسلام ... يحيا الاسلام)

والتفت فوجدت رئيس الوزراء يسقط على الارض ، ويداه ممدودتان الى الامام ، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما واسنانه كلها ظاهرة من شفتيه المتقلصتين وهو يتمتم بشيء لم اسمعه ..

ووراء هذا المنظر المؤلم ، كان هناك منظر آخر :

شاب يمسك فى يده مسدسا ، ويحاول ان يشق طريقه هاربا ، بينما زملائى الثلاثة من رجال الحـرس ، ومعهم وزير الاشغال الذى كان قادما وراءنا — يحاولون الامساك به

وتدخل بعض افراد الجمهور يضربون رجال الحرس ليسهلوا فرار القاتل الذى كان لا يزال يصيح :

— زندباد اسلام

ويرددها وراءه كثيرون من الجماهير

وبدأ الناس يبتعدون جريا لان جماعة من رجال البوليس اندفعوا الى موقعنا يحاصرونه ويفرقون الجمع المحتشد بهراوات المطاط المضغوط

وفى نفس اللحظة كنت احاول ان اخرج مسدسى لأساعد فى القبض على القاتل ، ولكن احد شركائه كان يراقبنى على ما يبدو ، فلم تكد يدى تخرج بالمسدس حتى احسست بشىء حاد بارد يغوص فى ظهرى

وادركت انها طعنة خنجر نافذة ، وبدات اغيب عن الوعى ، وفى اذنى طنين غريب تختلط فيه الاصوات المتناقضة التى كانت تملأ جو الساحة الداخلية لمسجد الشاه فى تلك اللحظات :

همهمة الصلاة المنبعثة من الميكروفون وهو ينقل مراسم الجنازة التى كانت قد بدات داخل المسجد

وحيرة الحركة العجيبة حول جثة الجنرال القتيل الذى كان يشترك فى الجنازة

وصيحات رجال البوليس لطرد الجمهور وحركة فرار الجمهور وصوت القاتل وهو فى قبضة رجال البوليس ، يصيح بأعلى صوته :

ـ زندباد اسلام ... زندباد اسلام ...

خليط مخيف من الاصوات ...

وفقدت الوعى !

٢ ـ الجنة تحت ظلال السيوف !

ولقد كانت تصرفات القاتل بعد ارتكاب الجريمة اكثر غرابة من تصرفاته اثناء ارتكابها ، صاح فى وجه رجال البوليس الذين قبضوا عليه :

– انا لا اخاف منكم يا خونة !

ثم اشار الى جثة الجنرال وكانت ماتزال ملقاة على الارض وحولها بركة من الدم :

– لقد لحق الخائن بزملائه الذين سبقوه الى جهنم !

وصرخ القاتل فى رجال البوليس ، وهم يضربون الجمهور المتكائف فى ساحة المسجد بهراوات المطاط المضغوط :

– لو مسستم شعرة واحدة من راس احد اصدقائى فالموت لكم جميعا

ولما دخل عليه الجنرال محمد دفترى حكمدار بوليس طهران بادره القاتل :

– لماذا يضربنى رجالك .. لقد خدمت الاسلام

وفتشوا جيوبه وكانت نتيجة التفتيش ان عثروا على مايلى :

١ – كمية من الفلفل الاسود المدقوق ملفوفة فى ورقة صغيرة

٢ – نسخة صغيرة من القرآن عليها قطرات من دم قديم

٣ – ورقة عليها بضع آيات من القرآن بالحبر الأزرق ، وباللغة العربية ، وتحتها ترجمة لها باللغة الفارسية

٤ – ورقة عليها عبارة « الجنة تحت ظلال السيوف » !

وكان استجواب القاتل شبكة من الالغاز ، وبدا فى ردوده على الاسئلة الموجهة اليه كانه يلقى اقوالاماثورة يحفظها عن ظهر قلب!

سئل عن اسمه فقال :

« عبد الله موحدى راستكار »

وسئل عن عائلته فقال :

« ليس لى زوجة ولا ولد ، ومات ابى ولحقته امى »

وسئل عن عنوانه فقال :

«ليس لى مسكن، ومساجد الله واسعة ، وابوابها مفتوحة

للمؤمنين فى الليل والنهار ! »

وادرك المحققون انه يضللهم ليكسب وقتا ..

وظلت لعبة القط والفار بينهم وبينه تلف وتدور ساعات متوالية حتى قال لهم اخيرا :

ـ هل تريدون اسمى الحقيقى ؟

واستطرد قبل ان يسمع ردهم :

ـ ان اسمى الحقيقى هو خليل طهمسبى

وسالوه فى شك : «وعبد الله موحدى راستكار» الذى ذكرته لنا من قبل على انه اسمك ؟

وقال القاتل : ليس هذا اسمى ، ولكنها صفاتى ...

ثم بدا يشرح لهم :

« عبد الله ... اى خادم الله »

« موحدى ... اى الموحد بالله »

« راستكار ... اى الذى لا يقول الا الصدق ! »

ثم استطرد فى اصرار :

ـ اما اسمى الحقيقى ، فهو كما قلت لكم : خليل طهمسبى!

وبعد دقائق كانت كل قوى البوليس فى طهران متجهة الى جمع اكثر ما يمكن جمعه من المعلومات عن شاب يدعى «خليل طهمسبى »

وبدات المعلومات ترد تباعا :

«خليل طهمسبى شاب فى الثلاثين من عمره يعمل نجارا»

«خليل طهمسبى يعيش فى غرفة صغيرة فى بيت متهدم وراء مسجد سباه سالار »

«سبق لادارة بوليس طهران ان حررت محضرا لخليل طهمسبى لتهجمه على بعض رجال البوليس اثناء الانتخابات الاخيرة واتهامه

لهم بالتزوير ، وكان يعمل بأقصى جهده لتأييد ترشيح آية الله كاشانى فى احدى الدوائر الانتخابيـة فى طهران ، واتهم رجال البوليس ليلة الانتخـاب بأنهـم يحاولون تغيير الاوراق التى تملأ الصناديق حاملة اسم آية الله كاشانى »

« خليـل طهمسبى شاب متحمس متهوس ينتمى لجمعية فدائيان اسلام »

ولم يكن فى هذا كله جديد ، لأن طهمسبى نفسه كان داخل غرفة التحقيق يصيح :

« قتلت الخائن بأمر فدائيان اسلام »

وكانت فدائيان اسلام ، خارج غرفة التحقيق ، تهـدر فى سلسلة من البيانات بأنها هى التى امرت طهمسبى بقتل الخائن ، فوجه الى قلبه الرصاصات المباركة المصحوبة بتوفيق الله !

٤ ـ شجـرة فى وجـه الأعاصير !

وكانت طهران فى اليوم التالى عاصمة يحكمها الرعب ويسيطر عليها الفزع ، وتطغى فيها طلقات الرصاص على احكام القانون !

وكان وقع اغتيال رئيس الوزراء صاعقا ، فلقـد كان الرجل القوى فى ايران ، وفى ثوان ضاع الرجل القوى وانتهى

واصبح من الصعب على كثيرين ان يصدقوا ان الرجل الحديدى قد استحال بسرعة خاطفة الى جثة مضرجـة بالدم لا تثير الا الشفقة والرثاء

ولقد نظر جلالة الشاه محمد رضا بهلوى الى موظف القصر الذى ابلغه النبأ وقال :

ـ لا .. لا .. لا اصدق .. لا اصدق ..

ثم تهاوى الشاه على مقعده ذاهلا من المفاجاة والحزن !
وسمعت زوجة رزم آراه النبأ وهى تدخل عيادة طبيب أسنانها
وجنت السيدة البائسة ونسيت سيارتها ، وشهدت شوارع طهران زوجة ذلك الذى كان رئيسا للوزراء منذ ثوان قليلة ، تجرى حافية القدمين تلطم خدودها وتولول
وقال « جيمس وب » الوكيل المساعد لوزارة الخارجية الامريكية :
ـ لقد كان رزم آراه التعس ، يقف وحده فى الميدان فى مواجهة قوى هائلة ، ولقد صمد الرجل للعواصف بقوة شجرة السنديان الشامخة ، ولكن الاعاصير تجمعت وتحالفت على الشجرة الشامخة حتى قصمتها والقت بها حطاما على الارض !
وكان السيد « خليل فهيمى » وزير الدولة فى وزارة رزم آراه قد كلف بامر الشاه ليتولى منصب نائب رئيس الوزراء مؤقتا حتى يتم تاليف وزارة جديدة !
ووجد نائب رئيس الوزراء نفسه امام مشاكل ملتهبة
واجتمع المجلس ـ مجلس الوزراء ـ تحت رئاسة خليل فهيمى لاول مرة ، ليقرر ـ لآخر مرة ـ ان يجامل رئيسه القتيل باعلان الحداد الوطنى يوم مقتله
وردت جمعية فدائيان اسلام على هذا الاعلان ببيان تقول فيه :
« لا حداد اليوم ، بل فرح و سرور ، لترفع كل الاعلام ، وتفتح جميع المتاجر . .
سوف نحاسب كل من ينكس علمه ، ونهدم ابواب كل متجر يغلق أبوابه حدادا
لتمش البهجة والحبور مع الناس فى الاسواق والشوارع . .

هذا يوم عيد »

وكانت هذه فاتحة مشاكل نائب رئيس الوزراء .. ولكنها لم تكن آخر المشاكل

اخطر رئيس الوزراء – بلا مقدمات – بأن جميع ائمة المساجد فى طهران قد رفضوا ان يشتركوا فى جنازة الجنرال رزم آراه ، ورفضوا ان يلقى احد هم – كما تقضى التقاليد الدينية – كلمة فى تابين القتيل وطلب الرحمة والغفران لروحه !

واستدعى السيد فهيمى ، امام مسجد « سباه سالار » ليحاول اقناعه بنفسه ، وخرج الرجل من مكتب نائب رئيس الوزراء مصرا على الرفض كما دخل

وكان السيد فهيمى يروى ما حدث فى شبه ذهول :

– لقد اضطررت أن أعرض عليه ٢٥ الف تومان – اى ثلاثة آلاف جنيه مصرى – لكى يقبل ان يشترك فى الجنازة ولكنه رفض وقال : ان حياته تساوى عنده اكثر من ٢٥ الف تومان ، لان فدائيان اسلام ستقتله اذا اشترك فى الجنازة ولا تستطيع الحكومة التى عجزت عن حماية رئيسها القتيل – ان تحرس امام مسجد يدير ظهره كل يوم خمس مرات لآلاف المصلين من المسلمين المؤمنين !! !

وكانت المشكلة الثالثة أن « فدائيان اسلام » اذاعت انها ستبث عيونها حول الذين يشتركون فى تشييع جنازة رزم آراه

وكان الجو الذى شيعت فيه جنازة رئيس الوزراء القتيل مثيرا مليئا بالقلق والضنى ، وقد وصف لى وزير فى وزارة رزم آراه شعور مشيعى الجنازة بقوله :

– لقد كان اسعدنا واكثرنا اطمئنانا ... الجثة الممزقة داخل النعش !

ثم جاءت المشكلة الكبرى . .

لقد امر الزعيم الروحي الكبير آية الله كاشاني ان تخرج مظاهرة تطوف شوارع طهران في العصر

ووصف بعض الوزراء مظاهرة كاشاني بانها عملية ارهاب

وقال بعض الدبلوماسيين : انها مجرد مناورة لاستعراض قوة آية الله كاشاني في شوارع طهران ، وتوكيد لما اذاعه من انه يبارك قتل رزم آراه ويبارك يد قاتله !

وكان نبأ هذه المظاهرة قد ابلغ الى نائب رئيس الوزراء وهو يشيع جثة رئيسه القتيل الى مقرها الاخير ، فعاد مجلس الوزراء من الجنازة ليجتمع من جديد ويبحث مشكلة المظاهرة

وانتهى الاجتماع على ان يتصل السيد فهيمي نائب الرئيس بآية الله كاشاني ، فيطلب منه، او على الاصح يرجوه ويتوسل اليه عند اللزوم ، ان يعدل عن هذه المظاهرة او يؤجلها حتى تنتهي الازمة !

واستمع آية الله كاشاني الى طلب نائب رئيس الوزراء، ثم الى رجائه وتوسله ولكنه رد بانه مصمم على المظاهرة ولن يتزحزح عن تصميمه لاي طلب او رجاء او توسل ، وقال آية الله كاشاني لنائب رئيس الوزراء :

ـ ان كل ما يستطيع أن يعد به ... هو أن يضمن نتيجة المظاهرة وان السلام سوف يسودها الى آخر دقيقة !

وبدل المظاهرة الواحدة شهدت طهران عصر ذلك اليوم مظاهرتين المظاهرة الاولى ـ التي امر بها آية الله كاشاني ، وقذف فيها بمائة الف متظاهر الى الشوارع يهتفون «لتذهب روحك الى الجحيم يارزم آراه » و« يسقط الانجليز ويحيا تأميم البترول» ومظاهرة ثانية ـ لم يأمر بها آية الله كاشاني ـ ـ ولم يعرف

خبرها نائب رئيس الـوزراء ،وانما انشقت الارض عنها فجأة فاذا هي تجوب شـوارع طهران حـاشدة في صفوفهـا اكثر من عشرة آلاف سـيدة من نسـاء« زحمات كيش » اى « الكادحات في الحيـاة » ـ وهي الفـرع النسـائي لحـزب « تودة » الشيوعي !

واتجهت المظاهرة النسائيـة المفاجئة الى السـفارة الامريكية تهتف :

« مـــورد باد تـرومان » أى « ليمت ترومان »

ثم انطلقت الحناجر النسائية الشيوعية ، متجاوبة مع حناجر اتباع آية الله كاشاني في هتاف واحد « بحياة تأميم البترول »!

الفصل الثانى

« لقد ضمنــا للامبراطورية البريطانية موردا طبيعيا نشعر ان الايام ستثبت مدى اهميتــه الفائقة للشعب البريطانى ، وفى نفس الوقت استطعنا أن نحول دون وقوع هذا المنبع الطبيعى الهائل للثروة فى أيد اجنبيــة غير بريطــانية »

السير ج . ت . كارجيل

فى حفلة افتتاح شركة الزيت الانجليزية الايرانية

هل رأيت هؤلاء المجانين ؟ ــ ١٠ داوننج ستريت ــ
ذهب أصفر وذهب أحمر ــ الحكومة البريطانية تتدخل ــ
المستقبل هنا ــ العالم يلتفت الى بترول ايران ــ
رضا بهلوى يثور ــ عصبة الأمم تجد حلا سلميا ــ
بترول ايران حقق النصر ــ أغنى موارد العالم ــ
المشاكل تبدأ ــ سقط الرجل القوى !

١ - اخطاء اربعين سنة !

كان خيابان سباه - شارع الجيش - يبدو كقطعة من يوم الحشر !

أفواج المظاهرات تمتد من أول مبنى ادارة البريد والبرق حتى مبنى شركة البترول الانجليزية - الايرانية أو شركة سهامى نفت أنكليس وايران، كما يسمونها باللغة الايرانية !

والهتافات تنطلق من الشارع « بحياة تأميم البترول » و « سقوط الانجليز » كأنها قذائف تقتحم النوافذ المغلقة لتنفجر داخل الحجرات التى جلس فيها اصحابها من الموظفين الانجليز ينتظرون مايدخره القدر فى الثوانى المقبلة

وكنت جالسا فى مكتب « نور ثكروفت » المدير العام لشركة البترول ، وموضوع الحديث بالطبع - ! - مشكلة تأميم البترول

وكان مكتب نورثكروفت صورة حية للارتباك والحيرة موظفون يروحون ويجيئون دون قصد أو سبب ، ورسائل وبرقيات واردة من لندن ،ورسائل وبرقيات غيرها مرسلة الى لندن

والتليفونات على مكتب نور ثكروفت تدق جميعها فى وقت واحد كأنما اتفقت فيما بينها على أن تساعد برنين أجراسها المتقطعة على اتقان صورة الحيرة والارتباك

وبدا نورثكروفت نفسه قطعة حية من جو مكتبه

وكانت نوافذ المكتب مغلقة ولكن الهتافات كانت تنفذ منها

لتنزفي جو الغرفة كأنها طلقات رصاص
وقال لى نورثكروفت :
- هل رأيت هؤلاء المجانين ؟
ثم استطرد : ماذا يريدون ؟

ومضى يرد على نفسه : « انا لا أشك ان شروطنا فى الماضى لم تكن سـخية بالنسبة لهم ، واعترف اننا ظلمناهم ، ولكن كما قلت لك : كان ذلك فيما مضى ، وليس فى استطاعتى أن أفهم لماذا يهبون الآن - مرة واحدة - ليحاسبونا على اخطاء أربعين سنة مضت

لقد تساهلنا معهم الى أقصى حد ، ونحن نبذل كل جهدنا للتفاهم ، ولكن جهودنا السلمية لاتقابل الا بهذه الصيحات المتعطشة للدم »

وسكت نور ثكروفت وكانت صيحات المتظاهرين مازالت تتزاحم وتتصادم داخل الغرفة الحائرة ثم استطرد :

أقول لك الحق ٠٠ ان لندن فى قلق مما يحدث هنا ، ولقد كنت صباح اليوم وكذلك كانت عبدان على اتصال بلندن طوال الوقت

ومر نورثكروفت بيده على رأسه واستطرد :

- ان قلق لندن - من جراء ما يحدث هنا - ليس مقصورا على ميدان فينسبرى - مقر الشركة فى العاصمة البريطانية - ولكنه تعداه الى ١٠ داونتج ستريت - مقر رئاسة الوزارة !

٢ - الذهب الأحمر والذهب الأسود

ان قصة شركة البترول الانجليزية الايرانية هى نفسها قصة

بريطانيا في سياستها البترولية كلها !

ولقد بدأت القصة سنة ١٩٠١ ، وكان البطل انجليزيا مغامرا اسمه وليم دارسي ،خرج من مقاطعة « ديفونشير » في انجلترا مهاجرا الى استراليا يبحث عن النجاح والغنى

وحصل دارسي على النجاح فقد اشتغل محاميا وبرز في عمله ثم عثر دارسي على الغنى فقد أشركه أحد أصدقائه معه في البحث عن منجم ذهب ، اكتشفا مكانه بالفعل، واذا دارسي يصبح صاحب ملايين فيقرر أن يعود الى وطنه الأصلي - بريطانيا - لينعم بالذهب !

ولكن القدر كان قد أدخر لدارسي منجما آخر ، من الذهب أيضا، ولكنه ذهب أسود اللون ... هو بترول أيران !

ألقت المصادفات في طريق دارسي بتقرير وضعه العالم الفرنسي مورجان عن احتمالات وجود البترول في ايران ، ولم يكن وجود البترول في ايران سرا مجهولا، ولكن تقرير مورجان كان يرسم صورة مغرية « للمستودعات الهائلة من البترول التي ترقد دون استغلال في بطن التربة الايرانية »

وبدأ دراسي يهتم « بالذهب الاسود » ، فحصل من الشاه مظفر الدين كاجار - ملك ايران سنة ١٩٠١ - على امتياز للبحث عن البترول واستغلاله في خمسمائة ألف ميل من اراضي ايران ، ، شاملة لكل مناطقها ماعدا المقاطعات الشمالية الخمس وهي أذربيجان ، وجيلان ومازندران ، واستراباد ، وخراسان

وكانت الشروط التي حصل عليها مظفر الدين لقاء هذا الامتياز ، صفقة خاسرة اذ لم يزد ثمن هذا الامتياز على عشرة آلاف جنيه انجليزي تدفع نقدا ،وحصة من ارباح استغلال البترول

قيمتها ١٦ فى المائة تدفع كل عام

وبدأ البحث ...

ركزت الشركة أبحاثها قرب الحدود التركية ـ التى كانت طبقا لتقرير مورجان، أكثر مناطق ايران غنى بالبترول ،وفى نفس الوقت اخذت جماعات صغيرة من فرق البحث تنقب فى الجنوب ، ولكن أحدا لم يشعر بهالأن كل الآمال كانت متجهة الى الشمال

ومرت سنوات والابحاث تجرى دون فائدة أو جدوى

واكتشفت الشركة أنهـا قدصرفت ـ ٣٠٠ ألف جنيـه أى نصف رأسمالها ـ دون أن تعثر على قطرة بترول واحدة ، وكان باقى رأس المال يتبخر بسرعة ،وتتلاشى معه بقايا الأمل الوردى العذب !

وفكر دارسى ذات يوم فى أن يبيع الامتياز ، وبالفعل باع حصة فيـه لشركة بورما الانجليـزية للزيت ، ثم استبد به اليأس حتى قرر سـنة ١٩٠٦ أن ينزل عن الامتياز كله لشركة اجنبية كانت آمالها فى بترول ايران أضخم من يأس دارس

وفجاة تدخلت الحكومة البريطانية !

كانت حـكومة بريطانيـا ترقب باهتمام مجهودات دارسى لاستخراج بترول ايران وكانت مشكلة موارد البترول مـن أهم مشاكل الامبراطورية البريطانية فى بداية القرن الحالى وهكذا لم تجد حكومة لندن مفرا من التدخل لتمنـع دارسى من التخلى عن امتيازه ، ولتحول دون وقـوع البترول الايرانى ، فى أيد غير بريطانية !

وكان هذا اول تدخل بريطانى رسمى فى بترول ايران ؟ ولكنه لم يكن التدخل الاخير

ومهما يكن من أمر فقد استمر دارسى فى نضاله بتشجيع الحكومة

البريطانية،ولكن صاحب الجلاله الاسـود المراوغ كان مصرا على المحاورة والمداورة !

ثم حدثت المعجزة !

أبرقت احدى جماعات المهندسين الجيولوجيين التى كانت تعمل - اضـافيا - فى منطقة الجنوب بنبأ هام : «لقدتفجرت اليوم بئر بترول قرب « شـيـاه سرخ » فى مقاطعـة خوزستان فى الجنوب الغربى لايران » !

وانتقلت كل قوى البحث من منطقة الحدود التركية الى مقاطعة «خوزستان» ، ويظهر أن صاحب الجلالة الاسـود كان قد مـل المطاردة فبدأ يستسلم للباحثين عنه بطاعة غريبـة فى منطقة خوزستان !

وشهدت السنـوات التاليـه تطورات هامة فى قصـة بترول ايران ففى سنـة ١٩٠٩ تكونت شركـة البتـرول الانجليـزية الفارسية رسميا لمباشرة الاستغلال على نطاق واسع

وبدأت الحكومة البريطانيـة تهتم اهتماما مباشرا بآبار الزيت فى ايران ، وكان كل المسئولين يقدرون « ان مستقبـل البترول اللازم للامبراطورية كلها يكمن فى ايران »

وكان أكثر المسئولين البريطانيين اهتماما هم ضـبـاط وزارة البحرية باعتبار أن موارد البترول الايرانية هى المراكز الطبيعية لتموين الاسـطول البريطـانى العامل فى الباسـفيك وبحـار الصين والمحيط الهندى والبـحر الابيض - بالوقود اللازم له

وفى سنة ١٩١٤ ، والحـرب العالمية الاولى تلوح بنذرها القاتمة، طلبت الامبرالية البريطانيـة من شركة البترول أن تستعد لمواجهة الموقف ، وقالت الشركة انها لا تستطيع بامكانياتها الحاليـة أن تواجه كل مطالب الامبرالية

وكان وزير البحرية البريطانية يومها « ونستون تشرشل » الذى قرر الاقدام على احدى حركاته الجريئة ، فاذا بوزارة البحرية أى الحكومة البريطانية — تدخل شريكا مباشرا فى شركة البترول وتدفع مليونين ونصف مليون من الجنيهات لتحصل على ٥٢ فى المائة من أسهم الشركة

وكانت هذه الخطوة مرحلة حاسمة فى قصة البترول الايرانى !

٢ — بترول ايران فى وجه المطامع

وانتهت الحرب العالمية الاولى ، فاذا بترول ايران يقفز قفزات مدهشة !

اصبحت ايران الدولة الرابعة فى انتاج البترول فى العالم ، واصبحت الدولة الثانية المصدرة للبترول بين دول العالم ، واصبحت مصانع التكرير التابعة لها فى عداد المصانع الاولى لتكرير الزيت فى العالم !

وكان ابرز ما فى بترول ايران ان مكانه فى ذلك الجزء من الدنيا على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ميزة استراتيجية ملائمة، مضافا الى هذا كله ضخامة كميات البترول وجودة نوعه

وبدأ بترول ايران يلفت اليه انظار الدول ، وبدأ فى نفس الوقت يلفت اليه انظار صاحبه الأصلى : شعب ايران !

وكانت اسرة كاجار الحاكمة — مانحة الامتياز لدارسى — قد فقدت عرشها ، وآل الى اسرة بهلوى ، التى أعلن رضا خان — مؤسسها — قيامها فى أعقاب سقوط اسرة كاجار

وكان الشاه الجديد فى حاجة الى المال لينفذ الاصلاحات التى

يحلم بها ، فاتجهت أنظاره ـ على الفور ـ كما اتجهت قبله أنظار الدول ـ الى بترول بلاده ، واكتشف رضا بهلوى أن مجموع ما تحصل عليه الحكومة الايرانية من البترول الغالى الذى يتفجر فى أرضها لا يزيد فى المتوسط على مليون جنيه كل عام ، فطلب من الشركة أن تدخل معه فى مباحثات لتعديل الامتياز « بقصد أن يحصل الشعب الايرانى على حصة أكبر من البترول الذى يتدفق من أراضيه » ، وحاولت الشركة أن تماطل ، ولكن رضا بهلوى كان ضيق الصدر فاذا الشركة تتلقى منه فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ انذارا بأنه قرر الغاء امتياز البترول الممنوح لدارسى !!

ورفعت الحكومة البريطانية أمر الانذار الى عصبة الأمم التى تدخلت فى النزاع ، وألفت لجنة للتوفيق بين الحكومة الايرانية وبين شركة البترول ، وهكذا سويت الأزمة ووقعت الشركة والحكومة فى سنة ١٩٣٣ اتفاقا بتعديل الامتياز ، وكان من أبرز شروط الاتفاق :

- انقاص مساحة الأراضى التى يشملها امتياز الاستغلال
- فرض رسم قدره ٤ شلنات عن كل طن من البترول الخام تستخرجه الشركة من الآبار الايرانية يسدد للحكومة الايرانية
- رفع نصيب الحكومة الايرانية فى الأرباح الى ٢٠ فى المائة
- مد العمل بالامتياز ستين سنة من تاريخ توقيع التعديل أى استمرار سريانه حتى سنة ١٩٩٣

وبدأت العلاقات بين الشركة والحكومة تدخل مرحلة جديدة .. أشبه ما تكون بشهر العسل ، ورأت الشركة توكيدا لعواطفها أن تحامل الشاه ..

كان جلالته فى اول حكمه قد اصدر امرا بتغيير اسم بلاده من «فارس» الى «ايران» وقررت الشركة ان تغير اسمها من «شركة البترول الانجليزية الفارسية» الى شركة البترول الانجليزية الايرانية»

واستمر شهر العسل حتى جاءت الحرب العالمية الثانية

وكان بترول ايران هو المركز الاستراتيجي الاول للامبراطورية البريطانية، وتضاعفت قيمته خصوصا بعد تدخل اليابان فى الحرب، وضياع موارد الزيت فى الشرق الاقصى وانقطاع المواصلات مع الولايات المتحدة- عن طريق الباسيفيك بسبب نشاط الاسطول الياباني!

ولم يكن امام الاسطول البريطاني، والأسطول الامريكي، وباقى أساطيل الحلفاء فى هذه المنطقة سوى بترول ايران، وشاركت الجيوش البرية واسلحة الطيران المحالفة فى الامل المعقود على مصانع التكرير فى عبدان

والبترول هو عصب الحرب دون نزاع، والا فماذا تصنع حاملات الطائرات والبوارج والمدمرات والمدرعات والغواصات وناقلات الجنود فى البحر، وماذا تفعل الدبابات والسيارات والعربات المصفحة وجرارات المدافع على الارض، وماذا تفعل قاذفات القنابل والمقاتلات والمطاردات والنفاثات فى الجو ... اذا خلت مراجلها جميعا من الوقود الذى يبعث فيها الحياة!

انها بدونه - كما قال السناتور كابوت الامريكي فى تقريره عن موارد البترول فى الشرق الاوسط - تستحيل الى قطع من الحديد الخردة يغطيها الصدا!

وهكذا كفل بترول ايران حركة الحياة لعتاد الحلفاء وقواتهم المسلحة فى تلك الايام السوداء، وكان هو كما يقول معظم

ساسة ايران : صاحب الفضل الاول فى النصر !

ولقد بلغ من اهتمام الحلفاء بهذا المورد ، انه لما احست الشركة بتسرب الألمان الى ايران ، وبميل الشاه رضا بهلوى بعواطفه الى دول المحور ، لم تجد مجالا للسكوت دقيقة واحدة ، فاقدمت بريطانيا من الجنوب ، وروسيا من الشمال على اجتياح ايران واحتلالها وخلع رضابهلوى من عرش ايران، وقد اقدم الحلفاء على هذه الحركة الجريئة فى صميم الفترة الحرجة من الحرب سنة ١٩٤١ ، وكان السر الكبير الكامن وراء هذه الخطوة : بترول ايران

٤ - دولة داخل الدولة

انتهت الحرب العالمية الى انتصار الحلفاء اذن بفضل بترول ايران ، وكان الانتاج الايرانى من البترول يكبر وترتفع كمياته ارتفاعا مخيفا حتى ليكاد يصل الى كمية الانتاج الروسى ! - والانتاج الروسى هو ١٨٠ مليونا من البراميل فى السنة ، وبلغ انتاج بترول ايران فى سنة ١٩٤٦ ما يقدر بـ ١٦٠ مليونا من البراميل ولكن التحسينات الضخمة ، والجهود الهائلة قفزت به فاذا احصائيات سنة ١٩٤٨ عن انتاج البترول الايرانى فى مناطقه المختلفة تصبح كما يلى :

الآبار فى اغا شارى	٦٨٫٦٤٤٫٠٠٠ برميل
« « هافت كل	٧٥٫٧٩٥٫٠٠٠ «
« « لالى	٢٫٩٦٣٫٠٠٠ «
« « مسجد السليمان	٢٥٫٧٥٠٫٠٠٠ «
« « نفط صفد	١٫٢١٤٫٠٠٠ «

-

أى ان مجموع الانتاج الايرانى قد زاد على مائة وسبعين مليونا من البراميل فى السنة ، وانه يقترب بخطى ثابتة واثقة من الرقم الروسى لانتاج البترول ، وليس هذا الرقم الضخم وحده هو الذى يجعل كل هذه الاهمية لبترول ايران بل ان المبعث الحقيقى لهذه الاهمية هو ماثبت علميا من ان « الاحتياطى المحقق » المختزن فى باطن التربة الايرانية لا يقل عن ١٢ بليونا من البراميل ! !

وفى السنوات القليلة التالية للحرب كانت آمال شركة البترول تذرع الآفاق والسحب عرضا وطولا ، وقد استطاعت - فى تلك الفترة - أن توسع معامل التكرير فى عبدان فتجعل طاقتها ١٦٠ مليونا من البراميل فى السنة ، وجعلتها ايضا اضخم واحدث وادق مصانع التكرير فى العالم ، واصبح لدى الشركة اكبر اسطول من ناقلات الزيت يرفرف فوقها جميعا العلم البريطانى وتحته علم شركة البترول ، وتحمل جميعا الاسماء التقليدية التى تصر الشركة على اطلاقها على كل قطع اسطولها والتى تنتهى بكلمة « البريطانى » ، وبين اسطول الشركة مثلا قطعة تحمل اسم « الدوق البريطانى » واخرى باسم « الجنرال البريطانى » و « الشرف البريطانى » وهكذا

واصبحت للشركة مدن قائمة بذاتها سواء فى مناطق الآبار او التكرير او غيرها من المراكز الواقعة على التقاء نقط المواصلات بين الآبار

وارتفع عدد العمال والموظفين فجاوز مئات الالوف

وكانت « عبدان » قبل شركة البترول قرية صغيرة مهجورة ، وسكان عبدان اليوم يزيدون على الثمانين الفا وهم يعيشون جميعا فى مستوى مرتفع ، وعبدان اليوم مدينة تسبح فى الذهب ...

الذهب الاصفر الذى يغدقه عليها الذهب الاسود !
وهكذا أصبحت شركة البترول الانجليزية الايرانية — دولة داخل الدولة — بل لعلها وحدها اصبحت الدولة فى ايران

٥ - الرجل القوى صرعه البترول

ثم جاءت الازمة الاخيرة
وقال لى مستر نورثكروفت ، مدير شركة البترول المقيم فى طهران ، وكنا لا نزال فى مكتبه :
— كانت المطامع والدسائس تتربص دائما ببترول ايران وسكت يصغى الى اصوات الهتافات الطائرة فى جو « خيابان سباه » المزدحم بالمتظاهرين ، واستطرد :
— مطامع ودسائس من كل ناحية ، من داخل ايران ومن خارجها ، ومن الاعداء والاصدقاء ، بل من الاصدقاء قبل الاعداء !
ومضى مستر نورثكروفت الى تفصيلات الازمة فقال :
« كانت بداية الازمة فى يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٤٧
وانطلقت الشرارة الاولى من « مجلس ملى » — مجلس النواب الايرانى — وكان هذا المجلس قد انهمك فى مناقشة عن البترول على اثر طلب كانت الحكومة الروسية قد تقدمت به لتحصل على امتيازات للبحث عن البترول فى شمال ايران فى الجزء الملاصق للحدود الروسية ، واتخذ المجلس قرارا برفض الطلب الروسى ، وكان مفروضا ان ينتهى الامر عند هذا الحد ، ولكن بعض النواب قدموا اقتراحا مفاجئا ، قالوا فيه :
« ان المجلس فى نفس الوقت الذى يقرر فيه رفض منح

امتيازات جديدة لاى راسمال اجنبى للبحث عن البترول فى ايران ، يتوجه الى رئيس الوزراء برغبته فى ان يشرع فورا فى مفاوضة شركة البترول الانجليزية الايرانية لرفع نصيب ايران فى بترولها »

واذا الاقتراح يحصل على غالبيـــة فى المجلس ، ولا تجـد الحكومة القائمة فى ذلك الوقت مفرا من ان تبدأ اتصالاتها مع شركتنا تنفيذا لرغبة المجلس

ومضى المستر نورثكروفت يقول :

« ولم نجد ما يمنعنا من ان ندخل فى مفاوضات مع حكومة ايران ، وكان املنا قويا فى الوصول الى حل عادل معقول لاننا كنا نؤمن من اعماق قلوبنا بحق ايران فى تعديل الاتفـاق ، وفى ذلك الوقت كانت هناك وزارات تذهب ووزارات تجىء ، وكـان المتفاوضون امامنا يتغيرون وتتغير لهجاتهم وآراؤهم ، ولكننا نحن لم نتغير ، ولم تضعف رغبتنـا فى الوصول الى اتفاق ، وحاولنا ان نكون منصفين ، وفى اكثر من مرة عرضنا على الايرانيـين شروطا قلنا لهم ونحن نقدمها اليهم :

ـ هذا آخر ما عندنا ، فاذا لم يعجبكم فنحن نأسف ، ولكننا لن نزيد عليه ريالا واحدا ، بل سنظل ملتزمين حدود الاتفاق القديم ، ولن نقبل فيه كلاما ، وانتم وشأنكم

ولكننا كنا نعود فنتراجع بدافع الرغبة المخلصة فى الوصول الى اتفاق

ثم وصلنا اخيرا مع حكومة السيد ساعد محمد ساعد ـ الحكومة السابقة على حكومة « رزم آراه » ـ الى مشروع اتفاق نهائى يرفع حصة ايران فى ارباح الشركة الى اكثر من ثلاثين فى المائة ، وعرض المشروع الجديد على المجلس للموافقة عليه قبل

توقيعه فقرر المجلس تأليف لجنة خاصة لبحث تفصيلاته على ان تقدم له تقريرا بنتيجة بحثها

وتوقف « نورثكروفت » وطال صمته وهو يعبث باوراق على مكتبه ، ثم عاد الى الكلام :

ـ هذه هي الخطوط الرئيسية لسير الازمة الى ما قبل التطورات الاخيرة ، ولكى أكون دقيقا اذكر لك انه لم يكن فى هذا كله حتى ذلك الوقت ،ما يصح ان يطلق عليه وصف ازمة ، انما جاءت الازمة بعد ذلك » !

وقررت القوى الرهيبة التى تتصارع فى ايران ان البترول هو الميدان الذى يجب ان تخوض فيه معركتها الكبرى فاذا مشروع الاتفاق المعروض على لجنة البترول فى المجلس يصبح هدفا لتأثيرات ومناورات خفية

وبدات اللجنة تعترض على مواد المشروع مادة بعد مادة ، ثم اذا هى فى نهاية الامر تعصف بالمشروع كله ، ويكتب رئيسها الدكتور محمد مصدق ـ رئيس الكتلة الوطنية فى المجلس ـ ورئيس الوزارة الآن ـ تقريرا يقول فيه : ان اللجنة ترى خير عمل هو « تأميم البترول »

وكانت القنبلة .. وسقطت وزارة السيد ساعد محمد ساعد التى اعدت مع الشركة مشروع الاتفاق ، وجاءت وزارة رزم آراه ... اقوى رجل فى ايران ..

وهز نورثكروفت راسه فى اسى وقال :

ـ ولقد رايت بعينيك ماذا حدث للرجل القوى !!



الفصل الثالث

التجربة وحدهاهي التي تبين أين هو الضعف وأين هي القوة ؟ واذكروا ان السلاسل الحديدية الهائلة تتساوى مع خيوط العنكبوت الرفيعة ، اذا لم يكن ثمة ضغط عليها !

« بيتشر »

جولستان وسط العواصف خطـاب بخط
الامبراطور ـ مؤامرة على العرش ـ اخرجمن
هنا ـ مقاومة سلبية ـ تحت صورة لينين ـ
السفيرالبريطانيمسئول ـ مقترحاتبعد الأوان
ـ أسئلة واجوبة ـ ليست بهذه البســاطة ـ
ايها الكلاباخرجوا واتركوا البترول لنا !

١ ـ ارملة غلبتها الدموع

لم يكن الجنرال رزم آراه اقوى الرجال في ايران فحسب ، بل كان ايضا اسواهم حظا

كانت العواصف تهب على قصر جولستان ـ مقر رئاسة الوزارة الايرانية ـ من كل الاتجاهات ، والصواعق تنقض عليه من كل الآفاق

وكان مقعد رئيس الوزراء اشبه ما يكون بكتلة متفجرة ترتكز على دعائم من اصابع الديناميت !

وفي تلك الظروف جلس رزم آراه على مقعد رئيس الوزراء !

وكان هناك من يشفق عليه ولكن الغالبية كانت تقول :

ـ انه وحده رجل الموقف ، وهو وحده القوي القادر الذي يستطيع ان يصد الطوفان !

وكان سجل رزم آراه حتى ذلك الوقت حافلا

ولقد جلست في غرفة مكتب رزم آراه في بيته ، وكانت ارملته وشقيقها واحد اقارب الجنرال جالسين معي ، وقالت الارملة الملفوفة في السواد :

ـ امامك اوراقه ، تأملها كما تريد ، اني اتمنى ان تعرفه كما كان فعلا ، لكيلا تصدق فيه كل ما يقال عنه

واشارت ارملة رزم آراه الى دولاب كبير مليء بالكتب :

ـ هل ترى هذه المجموعة من المؤلفات العسكرية ، انها دائرة معارف فنون الحرب الفها هو ، وهي تدرس اليوم في كلية الحرب في طهران ، وتدرس في غيرها من الكليات الحربية في العالم

ان زوجى لم يكن ضابطا عاديا ولكنه كان أستاذا من أساتذة العلوم العسكرية ، استاذا له مدرسة خاصة ، وله نظريات خاصة

وانهمكت الارملة الملفوفة فى السواد فى فتح درج من ادراج مكتب الجنرال القتيل ، وهى تقول : •

ـ وكان زوجى مواطنا مخلصا لوطنه : ايران

واستقرت يدها على ملف داخل احد الادراج فأخرجته واستطردت :

ـ اقرا هذا الخطاب

وناولتنى خطابا يعلوه الشعار الامبراطورى لأسرة بهلوى ومضت تقول :

ـ لقد جاء يوم فقد وطنه قطعة من أراضيه ... ولاية اذربيجان ، التى أقام فيها الشيوعيون حكومة ثورية منفصلة عن حكومة ايران

ولم يكن للازمة الا زوجى ، فكلفه الشاه بأن يعيد الى ايران القطعة الغالية من أرضها التى توشك أن تقتطع منها

وسكتت الأرملة وهى تهز رأسها ألما ثم قالت :

ـ والآن اقرأ هذا الخطاب !

وكان الخطاب كما يلى بخط اليد :

عزيزى الجنرال رزم آراه

لقد اديت لوطنك العزيز خدمة جليلة لن تنساها لك الاجيال القادمة من شعب ايران الوفى ، فالحق ان المجهود الذى قمت به باعادة الامن والنظام الى اذربيجان العزيزة التى كادت المطامع والاهواء تعصف بربابطها مع ارض الوطن ـ مجهود عظيم ضخم الآثار

واني لشديد العرفان لهذا العمل الذى قمت به وقام به ضباطك وجنودك البواسل واني اذ أوجه لك شكرى وتقديرى - مع هذا العرفان - ارجو ان تبلغهما فى نفس الوقت الى الجنود والضباط التابعين لرئاسة اركان حربك

محمد رضا بهلوى - امبراطور ايران

وخذ هذه !

وكان الصوت ، صوت الأرملة المتشحة بالسواد ، وهى تناولنى صورة للامبراطور كتب صاحب الجلالة بخطه تحتها :

عزيزى رزم آراه

رمز اعجابى وتقديرى لميزاتك الكبيرة ، وولائك وتفانيك فى خدمة ملكك وبلادك

محمد رضا بهلوى

وكان الأسى قد غلب الأرملة ففاضت دموعها ، واجهدت نفسها وهى تحبس الدموع بين شهيق ونشيج حتى استطاع صوتها أن يطاوعها على الكلام :

- انى ارجوك أن ترى كل شيء بنفسك وأن تبحث وتدقق كما يروق لك ، انى يائسة من انصاف زوجى هنا ، فلتجد روحه العدالة فى بلد آخر حتى ينجلى وجه الحق فى وطنه : ايران

واستطردت الارملة :

- ما اكثر ما يتقولون عنه اليوم ، لقد ظهرت فجاة اشياء غريبة ما سمعنا بها الا بعد ان ارتمى المسكين جثة هامدة على الارض

وتشنجت يدا الارملة وهى تسألنى :

- هل سمعت حكاية المؤامرة التى زعموا انه كان يدبرها

ليجلس على عرش ايران ! لقد زعموا انه كان يجتمع بالجنرالات مهتدى ، وخنصرى ، وهدايت لهذا الغرض فهل يمكن ان تدخل مثل هذه الاكذوبة فى راس عاقل ؟ ...

هل يتصور احد ان الجنرال رزم آراه بتاريخه الحافل يتآمر على امبراطوره ؟

ثم اين كان يجتمع بالجنرالات مهتدى وخنصرى وهدايت ... اين ومتى ؟!

وانفلتت الارملة خارجة من الغرفة فقد قهرها سيل الدموع !

٢ - تحت صورة لينين

قال لى احد السفراء الاجانب فى طهران :

ــ لقد قضى الجنرال رزم آراه اربعة اشهر كاملة فى قصر جولستان ، ولست اعرف كيف قضاها ولكنى أؤكد لك اننا نحن الدبلوماسيين فى طهران ، قلنا جميعا : انه لن يستطيع البقاء اكثر من ثلاثة ايام !

ومضى السفير الاجنبى فى طهران يقول ، وهو يشعل سيجارا فاخرا :

ــ ولكن رزم آراه كان ملاحا ماهرا .. فقد ظلت وزارته على قمم امواج الحوادث الهوج تعلو وتهبط وتتعثر وتدور كقارب تائه ، ولكنه قارب متين !

ولقد ظل القارب التائه يقاوم ، الا ان الانواء تكاثرت عليه ، واحرقت الصواعق شراعه فانقلب وتحطم على صخور الازمات ! »

لقد بدات العاصفة الاولى التى واجهتها وزارة رزم آراه فى

نفس الدقيقة التى امره الشاه فيها بتاليف الوزارة كان الظرف دقيقا ، والحوادث عاتية ...

وقال الانجليز : انه لابد من رجل قوى لمواجهة الحالة

وقال الامريكان : ان الموقف فى حاجة الى يد من حديد

وقال كل مستشارى الشاه : انه لابد من عمل شىء سريع

وقال جلالة الشاه : ان الرجولة القوية ، واليد الحديدية ، والعمل السريع ، ليس لها الا رجل واحد فى ايران هو : رزم آراه

واتفق الجميع : الانجليز والامريكان ومستشارو الشاه ، على ان رزم آراه ، هو كل هذه الاشياء مجتمعة

واصدر الشاه امره اليه بتأليف الوزارة — دون ان يحصل على موافقة مجلس النواب ، كما تقضى بذلك التقاليد الدستورية فى ايران

واستجمع رزم آراه أعصابه ليواجه الموقف فكان طلبه الاول من الامبراطور ان يصدر أمر تعيينه رئيسا للوزراء بوصفه « الحاج على رزم آراه » وليس الجنرال رزم آراه ، وكان لقب « الحاج » ملكا لرزم آراه ولوانه لم يزر البيت الحرام فى حياته ، ذلك ان التقاليد فى ايران تقضى بأن يصبح كل الذين يولدون ليلة وقفة عرفات « حجاجا » ، وكان الجنرال رزم آراه من مواليد ليلة عرفات !

وخلع الجنرال ملابسه العسكرية ليرتدى الملابس المدنية

وهكذا دخل مبنى المجلس فى اليوم التالى لتأليف وزارته ليواجه النواب شخصا جديدا ...

اسمه : الحاج على رزم آراه ، ولاعلاقة له بالجنرال رزم آراه !

صناعته : رئيس وزارة يرتدى الملابس المدنية ، ولا علاقة له بذاك الذى كان يرتدى ملابس رئيس هيئة اركان حرب الجيش

الايرانى منذ يوم واحد !

وكان المجلس يدخر لاستقبالا مثيرا ، فهبت فى وجهه صيحات النواب :

ــ اخرج من هنا الى الذين أرسلوك

ــ نحن لا نقبل ان تكون رئيس وزارة

ــ انت رجل عسكرى ولا علاقة لك بالسياسة

ــ الهذا كنت تعمل وتقوى مركزك طوال الاعوام الثمانية المتعاقبة التى قضيتها رئيسا لهيئة اركان الحرب يا رزم آراه

ــ اخرج يا صنيعة الانجليز والامريكان

ــ هذه الملابس المدنية لا تخدعنا ، انت عسكرى وليس لك حق ان تبقى هنا !

وكان رزم آراه ينظر الى كل هذا ويبتسم ، وقال لى احد أعضاء الكتلة الوطنية المتطرفة فيما بعد :

ــ اعترف لك ان رزم آراه استطاع أن يسيطر على أعصابه ، واستطاع بهذا ان يسيطر على الموقف !

ولم يكن فى طاقة النواب أن يصنعوا شيئا الا ان يقبلوا الوضع ولكنهم صمموا فى نفس الوقت على المقاومة السلبية ، وطوال مدة حكم رزم آراه لم يخرج من مجلس النواب مشروع واحد !

وقال لى دبلوماسى امريكى فى طهران :

ــ « لقد كان رزم آراه لغزا ، كنا نظن عواطفه متجهة نحونا ، ولكنه كان حريصا على أن يبدد هذا الظن فاذا هو يقابل الرفيق سد تشيكوف الروسى أول من يقابل من السفراء »

ويظهر ان رزم آراه احس أن تهمة صداقة الانجليز والامريكان تحلق فوق راسه فاراد ــ دفعا للظنون على ما يظهر ــ أن ينفيها

واذا هو من اول مقابلة بينـه وبين سد تشيكوف يقترح عليه مشروع معاهدة تجارية بين روسيا وايران !

وبدات المفاوضات ثم انتهت سريعا الى اتفاق، ونشرت صورة للجنرال رزم آراه جالسا بجوار سد تشيكوف وهما يوقعان معا المعاهدة التجارية الجديدة ووراءهما صورة للرفيق لينين يقرأ جريدة برافدا، وهى صورة كبيرة معلقة على احد جدران السفارة الروسية فى طهران !!

ومضى رزم آراه اكثر من هذا فى مجاملة موسكو

كانت هناك ثمانية اطنان من الذهب استولى عليهـا الروس اثناء احتلالهم المشترك لايران وادعوا انها ستبقى فى موسكو امانة لحساب ايران ، وطالبت حكومات ايرانية متعاقبة بهذه الكمية من الذهب ، ولكن رزم آراه فى اتفاقه التجـارى مع الروس نزل عنها !

ومجاملة اخرى !

كان هنـاك اكثر من ثلاثين ضابطا وجنديا ومدنيا لجاوا الى ايران من حدودها المشتركة مع روسيا ، عبروا الحدود ذات يوم وقالوا انهم هاربون من الحياة فى الاتحاد السوفيتى وانهم يطلبون امانا ومأوى ، وكانت الحكومات الايرانية السابقة قد منحتهم ما طلبوه ، واذا رزم آراه ، دون سبب ، ودون نتيجة ! يسلمهم الى حكومة موسكو

واتهم رزم آراه بانه خان ابسط واجبات الوفاء بتسليم هؤلاء اللاجئين ، ولكن — وكما قال لى احد اصدقاء رزم آراه — لم يجد الجنرال القتيل بدا من هذه الخطوة ليثبت حسن نيته تجاه الذين اتهموه بانه صنيعة الانجليز

ومجاملة ثالثة او رابعة !

كان ثمانية من زعماء حزب توده الشيوعى ، معتقلين في سجن « زندان قصر » شمال ايران وكان بينهم الزعيمان الشيوعيان « الدكتور يزدي والدكتور جودت » .

ثم وقعت حادثة غريبة في سجن « زندان قصر » !

دخلت السجن مساء أحد الايام سيارة بوليس يركبها ضابط ايراني ذهب الى مأمور السجن وقال له : « انه قادم من وزارة العدل ليتسلم المسجونين الشيوعيين للتحقيق معهم » . وقال مأمور السجن أمام وكلائه وأعوانه انه سيسلم المسجونين للضابط على شرط أن يصحبهم بنفسه الى التحقيق ليعود بهم الى السجن بنفسه — مبالغة في الاطمئنان — بعد انتهائه

وركب الجميع : مأمور السجن والضابط والشيوعيون سيارة البوليس ، ومن ساعتها اختفوا جميعا .. ويقول خصوم رزم آراه :

— هل يعقل أن يهربوا بهذه البساطة لولم تكن الخطة مدبرة بين رئيس الوزراء والسفير الروسى ؟ !

٣ — السفير البريطاني مسئول

وجاء دور مشكلة رزم آراه الكبرى ، « مشكلة تأميم البترول » ، التى قدر للهتاف بحياتها فيما بعد أن يقترن بطلب ذهاب روحه الى الجحيم

وليس لرزم آراه تصريح واحد محدد ضد تأميم البترول ولكن الذى لاشك فيه ايضا ان الرجل لم يكن مؤمنا باستطاعة ايران أن تقدم على التأميم الآن !

ولقد ظهر ضعف ايمان رزم آراه بفكرة التأميم على شكل مجموعة من الاسئلة وجهها الى لجنة البترول ، وكانت لتلك الاسئلة قصة ،فقد حضر الجنرال يوما مناقشة للجنة ، ثم قال ان لديه أسئلة يريد ان يفهم من الاعضاء الموقرين اجابتهم عليها قبل أن يصدروا قرارهم

وطلبت اللجنة من الجنرال أن يقدم اسئلته مكتوبة ليدرسها الاعضاء فقال الجنرال انه سيفعل ماهو أكثر من هذا ...

سيقدم الاسئلة مكتوبة ،وسيقدم أيضا ـ مبالغة فى مساعدة اللجنة ـ أجوبة هذه الاسئلة على ضوء معلوماته ،وعلى اللجنة أن تصحح له ماتراه خطأ فى الاجوبة ، ثم تدرس الاسئلة والاجوبة معا وتقرر على ضوء دراستها ماتراه فى اقتراح التأميم .

وكانت الاسئلة واجاباتها خيوطا من الشك احكم نسجها معا لتسدل ستارا على فكرة التأميم

وكان بين هذه الاسئلة ما يلى :

ـ ما هى قيمة المرتبات التى تدفعها الشركة للعمال الايرانيين فى السنة ؟

وكانت الاجابة التى قدمها الجنرال على هذا السؤال :

● قيمة المرتبات التى تدفعها الشركة لعمالها الايرانيين هى ٨٠٠ر٢ مليون ريال فى السنة

وسؤال ثان جاء فيه :

ـ كم عدد العائلات الايرانية التى تعيش بطريق مباشر وبطريق غير مباشر على موارد شركة البترول ؟

والاجابة

● هناك ٦٣ ألف أسرة تعيش مباشرة على موارد شركة البترول

وهناك ۱۲۰ الف أسرة تعيش بطريق غير مباشر عليها

وسؤال ثالث :

– كم ستكسب الخـزانة الايرانية من الشركة هذا العام بناء على الاتفاق الاضافي ؟

والاجابة :

● ان الخزانة الايرانية ستربح ٨ ملايين جنيه استرليني هى نصيبها عن سـنة ١٩٤٩ التى يشملها اتفاق التعديل الجديد . هذا عدا مبلغ ۱۱ مليون جنيـه قيمة نصيبها عن سنة ١٩٥٠

وسؤال رابع

– ماهو ثمن منشآت الشركة الآن وماذا يمكن ان ندفعه من تعويضـات نظير استيلائنا عليها ؟

والاجابة :

● اذا نظـرنا الى ميزانيات الشركة تبين لنا أن المنشآت التى لم يستهلك ثمنهـا بعـد فى الميزانيات المتعاقبة تقدر قيمتها الاسمية بـ ٢٧ مليون جنيـه ، ولكن التعويضات التى يتعين دفعها هى ٥٠٠ مليون جنيه فى أكثر الظروف مدعاة للتفاؤل فى رأى الخبراء الايرانيين

وسؤال خامس :

– ما هو المبلغ الذى يلزمنا للتشغيل الاولى لانتاج البترول اذا قررنا التاميم

والاجابة :

● يلزمنا على الفور ، وعلى أقل تقدير ، مبلغ ٧٠ مليون جنيه

وسؤال سادس :

– هل نستطيع عقد قرض بكل هذه المبالغ التى تلزمنـا لشراء المنشآت والتعويض عنهـا ، وتشغيل الانتاج ، بفرض أقدامنـا

على التأميم ؟

واذا حدث هذا واستطعنا عقد قروض بهذه المبالغ كلهـا فهل نستطيع سدادها قبل سنة ١٩٩٣ وهى السنة التى ينتهى فيها امتياز الشركة اتوماتيكيا ويصير كل ماتملكه من منشآت حقا خالصا للحكومة الايرانية ؟ !

وترك الجنرال هذا السؤال لاعضاء لجنة البترول يتولون الاجابة عليه

ورد لى الدكتور محمدمصدق رئيس الوزارة الآن ورئيس لجنة البترول فى ذلك الوقت على هذا السؤال وكنت قد سعيت للقائه فى حجرة المعارضة بمجلس النواب الايرانى

قال لى الدكتور مصدق ـ اومصدغى كماينطقها الايرانيون:

ـ كان رزم آراه يرى ان ندفع للشركة ٦٠٠ مليون جنيه وانا اقول ان الشركة لاتستحق الا سدس هذا المبلغ ذلك لانى اومن ان عقد مد الامتياز الذى عقد سنة ١٩٣٣ فى عهدالشاه رضابهلوى، اتفاق باطل لانه تم فى عهد دكتاتورى كممت فيه المعارضة واخرس لسانها ، وليس ادل على ذلك من ان السيد تقى الدين زاده رئيس مجلس الشيوخ الحالى وهو الذى وقع باســم ايران اتفاقية سنة ١٩٣٣ سئل اخيرا :

ـ لماذا وقعت هذا الاتفاق ؟

وقال السيد زاده : لقد صدر لى الأمر ان اوقع.. فوقعت

وضرب الدكتور مصدق بيده على مكتبه ثم قال :

ـ واذن فان هذا الامتياز ، باطل منطقا وقانونا ، ولايبقى مايربط ايران بالشركة الانجليزية سوى اتفاق دارسى القديم الذى كان مقررا ان ينتهى بعد عشر سنوات ، وهو ينص على ان كل ممتلكات الشركة تصبح فى نهايتها حقاخالصا لحكومة ايران،

واذن فقد استهلكت الشركة حتى الآن خمسة اسداس حقوقها ولم يبقلها الا السدس فى العشر السنوات المقبلة ونحن على استعداد لتعويضها عنه ...

ثم هز الدكتور مصدق رأسه قائلا :

ـ لا اظن ان ايران تعجز الآن عن اقتراض مائة مليون جنيه بضمان بترولها

وكانت الكتلة الوطنية قد ابلغت رايها هـذا الى رزم آراه ، ولكن الجنرال ضرب كفا بكف و قال :

ـ ان المسألة ليست بهذه البساطة

وثمة حقيقة ينبغى ان تقال وهى انه اذا كان رزم آراه ضعيف الايمان بامكان تأميم البترول ، فقد كان فى نفس الوقت قوى الايمان بحق ايران فى ان تحصل من أرباح بترولها على نصيب اكبر مما كانت تحصل عليه ، وكان يقول :

ـ لو ان الشركة قاسمتنا أرباحها بالنصف ، لاستطعت ان اواجه المجلس واواجه الشعب !

وعند ما يكتب تاريخ هذه الفترة الحرجة فى ايران ، سوف يمسك المؤرخون بتلابيب السير فرنسيس شبرد السفير الانجليزى فى طهران ، ويحملونه تبعة دم رزم آراه !

ووراء هذا سر دفين من أسرار الازمة فى ايران سمعت تفصيلاته من احد كبار المسئولين فى البلاط الملكى الايرانى

«كان الجنرال رزم آراه قد قابل السفير الانجليزى السير فرانسيس شبرد فى اواخر شهر فبراير الماضى ـ ١٩٥١ ـ واوضح له الصعوبات التى يواجهها ، و قال الجنرال للسفير :

ـ انه يرجوه ان يبلغ الحكومة البريطانية ـ صاحبة المصالح الكبرى فى شركة البترول باعتبارها مالكة لـ ٥٢ فى المائة من

اسهمها – انه ما لم يرفع نصيب الحكومةالايرانية من ارباح البترول الى ٥٠ فى المائة فان الموقف أمامه –أى رزم آراه – سيكون عصيبا تستحيل مواجهته!

واقتنع السفير على ما يبدو بموقف الجنرال فابرق لحكومته بتفصيلات المقابلة وردت الحكومة البريطانية – وكان ذلك فى اول مارس – بانها رغبة منها فى حل الازمة تقبل ، بعدة اشتراطات ، الموافقة على رفع نصيب الحكومة الايرانية فى ارباح الشركة الى ٥٠ فى المائة !

ولكن السير فرانسيس شبرد السفير البريطانى لم يقدم هذا العرض على الفور بل احتفظ به فى خزانة السفارة ليساوم به، أو ليراقب التطورات قبل تقديمه ويختار اللحظة الملائمة المؤثرة!

ومن سوء الحظ ان الامور تطورت باسرع مما قدر السفير البريطانى ، فاذا رزم آراه يقع صريعا فى ساحة مسجد الشاه، وبعد مصرعه بأربعة أيام رأى السفير ان يواجه الازمة الحادة فقدم عرض الحكومة البريطانية

وحمل السفير برقية الحكومة البريطانية وذهب ليقابل جلالة الشاه فى قصر المرمر وليتصل بالمسئولين ، وظهر ان البرقية أرسلت الى السفير منذ خمسة عشر يوما ثم اتضحت الحقيقة ٠

ومن سوء الحظ ان الجنرال كان قد فقد حياته وكان العرض كذلك قد فقد قيمته لأن زمام الموقف افلت ، ولما تسرب نبأ العرض البريطانى الى شوارع طهران واذاعته فى نفس الوقت محطة الاذاعة البريطانية ، احس الرأى العام الايرانى بضعف مركز الانجليز وقوة حجة المطالبين بالتأميم وارتفع صوت الزعيم الايرانى آية الله كاشانى يهدر قائلا :

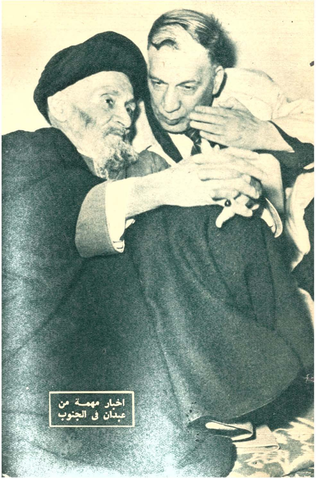
ـ أيها الكلاب الانجليز ٠ ٠ لا نقبل اى اتفاق معكم ٠٠٠ اتركوا لنا بترولنا واخرجوا من بلادنا ! !



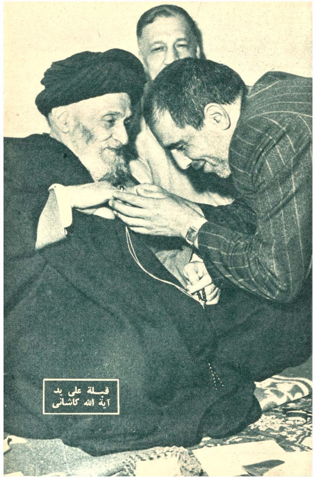
آية الله كاشاني
ومحمد حسنين هيكل



آية الله يستمع
الى أخبار هامة



اخبار مهمة من
عبدان فى الجنوب



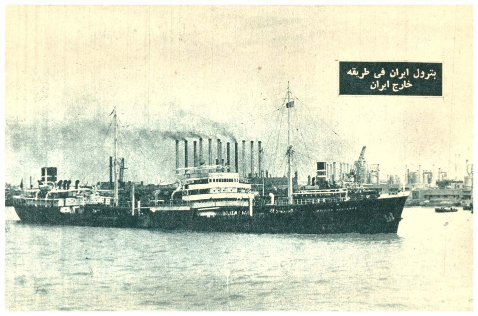
قبلة على يد
آية الله كاشانى



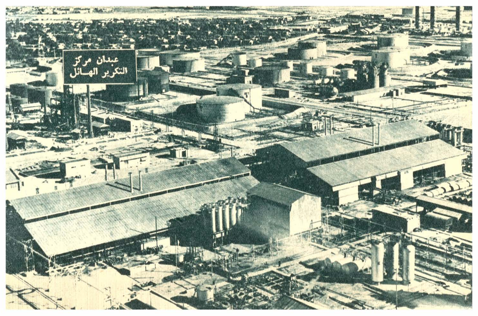
رزم آراه رئيس
هيئة اركان الحرب



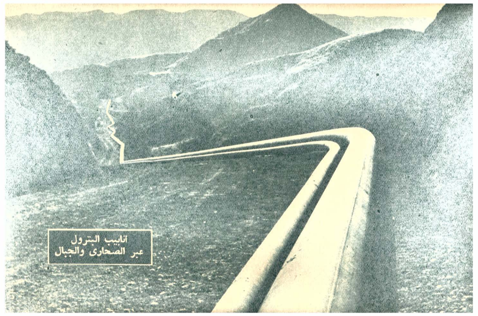
الحاج على رزم آراه
رئيس الوزراء



بترول ايران فى طريقه
خارج ايران



عبدان مركز
التكرير الهائل


انابيب البترول
عبر الصحارى والجبال



عائلات عمال البترول
من قبائل بختيارى



رزم آراه يوقع اتفاقا
مع سدتشيكوف الروسى


رزم آراه يتباحث
مع هنرى جرادى الامريكى



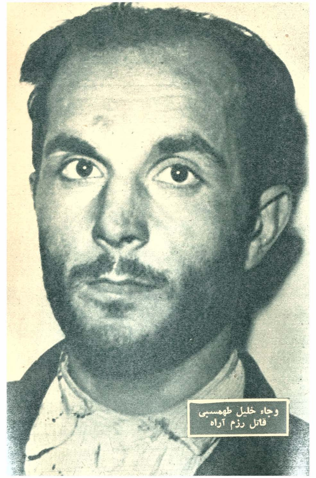
حارس مسجد سباه سالار .
يعرف كل الاسرار



احاديث في السياسة
في ((سپاه سالار))



طلبة العلوم الدينية ..
وسط فدائيان اسلام



وجاء خلیل طهمسبی
قاتل رزم آراه



الفصل الرابع

ماذا يهمنى من القانون ؟
ألست أملك القوة ! ؟
« كورنيليوس فاندر بلت »

هات الكفن ـ ثالوث فى الثورة ـ ماهودور السـفارة الامريكية ؟ ـ خمس مايملك المؤمنون ـ التراب الذى يمشى عليه آية الله ـ فدائيان اسلام ـ الدهاليز الملتوية ـ على كل واحـد ان يركع ـ اين القرآن ـ آية الله غاضب ـ حـديث مع صحفى اجنبى ـ اهم رجـل بعد هتـلر ـ عتاب على مصر !

١ ـ سيد الموقف في طهران

كان صوت آية الله ابو القاسم كاشانى يدوى فى جميع انحاء الدنيا وهو يهدر :

ـ ايها الكلاب الانجليز ، اتركوا لنا بترولنا واخرجوا من بلادنا!

وكانت الرصاصات الاربع التى صرعت رزم آراء قد حققت لآية الله كاشانى السيطرة الكاملة على الموقف فى طهران

وكانت شوارع العاصمة الايرانية فى تلك اللحظات العصيبة تروى اساطير طائرة عن آية الله ! واول ما كانت ترويه طهران من اساطير ، حكاية المظاهرة التى امرها آية الله بأن تزحف على البرلمان يوم مناقشة موضوع التاميم

لقد تجمع اكثر من مائة الف متظاهر ، وراحوا يصرخون ويصيحون فى كل الشوارع المؤدية الى ميدان بهارستان حيث مقر البرلمان ، واشيع فى طهران ان البوليس تلقى امرا باطلاق النار اذا تجاسرت المظاهرات واقتربت اكثر مما ينبغى من دار البرلمان ، وسرى فى صفوف المتظاهرين تردد وصل خبره الى آية الله كاشانى فاذا هو يصرخ فى ابنه السيد محمد كاشانى قائلا :

ـ هات الكفن !

وجاءه ابنه بالقماش الذى أعده لكفنه وبدأ آية الله يغتسل ويتلو الصلوات على جسده ، ثم لف نفسه فى الكفن وخرج مستعدا ، للقاء الموت

وكانت قصة الكفن قد سبقته الى كتل المتظاهرين فأحالتها الى كتل من البارود ثم برز آية الله فى كفنه فكان النار التى اشعلت البارود ، واذا شوارع طهران تغلى بالحمم واللهب ، وتقدمت

المظاهرة كانها القضاء والقدر الى مبنى البرلمان ..

وحين وصلت اليه كانت بنادق الجيش والبوليس قد ادارت فوهاتها ، بناء على الاوامر التى وردت من قصر المرمر بأن لامقاومة للمظاهرة التى يقودها آية الله !

وقصة آية الله كاشانى قصة بسيطة ، ولكنها قوية ، قوة الاعصار !

اسمه الحقيقى ابو القاسم كاشانى ـ نسبة الى قرية كاشان التى ولد فيها وهى من مقاطعة خراسان

وأما آية الله فلقب أسبغه عليه أنصاره مبالغة فى اظهار تفانيهم فى طاعته

واسرة «كاشانى» اكبر اسرة فى مقاطعة خراسان ولها السيادة الدينية الكاملة على سكانها «وآية الله كاشانى» ابرز شخصيات اسرته والوارث المباشر لمجدها القديم كله ..

ولمع اسم أبى القاسم كاشانى فى مدينة « قم » المركز الشيعى الدينى الكبير فاذا هو يصبح أقوى زعماء الشيعة نفوذا وجاها ، وكانت مقدرته العجيبة تتركز ـ بعكس باقى رجال الدين ـ فى اقدامه المندفع على تنفيذ ما يريد

واتجه ابو القاسم كاشانى الى السياسة فاذا صيته يتغلغل بين القبائل ، ويمتد عبر حدود ايران الى افغانستان شرقا ، والى العراق غربا ، ويجيء الوقت الذى يصبح فيه آية الله الزعيم المطلق للشيعة كلها

ويشتهر آية الله بعدائه الشديد للانجليز . فلما قامت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد الانجليز سنة ١٩٤١ كان آية الله كاشانى هو دعامة الثورة الروحية ، وكان الثالوث الضخم الذى يحكم بغداد فى تلك الايام ، يضم رشيد عالى

الكيلاني قائد الثورة ، والحاج امين الحسيني مفتى القدس الاكبر ، وآية الله كاشاني زعيم الشيعة القوى

وفشلت ثورة الكيلاني ، فاذا آية الله كاشاني يصحب معه زميليه ـ الكيلاني والحسيني ـ ويخترق بهما حدود العراق الى ايران ... او الى السلامة والامان !

ولما دخل الانجليز ايران كان اول ما فعلوه في طهران محاصرة بيت آية الله كاشاني بالدبابات والسيارات المصفحة ثم نفيه خارج ايران

واختار آية الله ان يستقر في لبنان حتى لايفصل بينه وبين ايران الا حدود سوريا وحدود العراق ، ولم يفقد اتصاله ابدا بأحداث وطنه ، بل لعل علاقته بالاحداث كانت اكثر من مجرد اتصال ، فان آية الله كاشاني انتخب وهو في المنفى نائبا في مجلس النواب الايراني ممثلا لاحدى دوائرطهران الانتخابية !

ولم يكن هناك معنى لان يبقى في المنفى رجل انتخب في غيابه عضوا في مجلس النواب ، فارسل الشاه الى آية الله كاشاني يدعوه ـ معززا مكرما ـ ان يعود الى وطنه ، وثمة راى سمعته من احد السفراء في طهران وهو راى ـ اوسر ـ متعلق بعودة آية الله ..

قال لى محدثى السفير :

ـ ان السلطات الامريكية في طهران تدخلت لكي يقبل الشاه عودة كاشاني الى ايران ، وكانت هذه السلطات الامريكية قلقة من جراء نشاط حزب توده الشيوعي وانتشار نفوذه ، فاتجهت الى اللعبة التقليدية .. لعبة مقاومة انتشارالشيوعية بقوة العقيدة الدينية ، وكان رجل الدين القوى ، ورجل السياسة القوى ، وعدو الشيوعية القوى ، في نفس الوقت

هو : ابو القاسم كاشانى ، ومن هنا اسدت السفارة الامريكية رسميا نصيحتها لجلالة الشاه بان يسمح لكاشانى بالعودة !

ومهما يكن من أمر فقد كان استقبال الشيخ العائد من المنفى استقبالا لم تر له طهران نظيرا من قبل ، تدفق أكثر من نصف مليون رجل وامراة وطفل الى منطقة مطار مهرباد ، وداخل المطار نفسه وقف الوزراء والنواب ، ورجال الدولة صفا واحدا !

ولما خرج آية الله كاشانى بسيارته خارج مطار مهرباد ، كان هناك منظر فريد ، فان الجموع المحتشدة خارج المطار ، حملت السيارة كلها ، بركابها اجمعين ، فبدت السيارة كأنها طائرة فوق رؤوس المستقبلين !

ولم يضيع آية الله وقتا فلم يلبث ان انهمك فى تنظيم صفوفه والاستعداد للمعركة . ولم يمض غير قليل حتى كان على اتم استعداد ، فأحكم نشر نفوذه الاخطبوطى فى كل اتجاه !

كانت قوته الروحية تتغلغل الى القلوب

وكانت قوته المادية هى كل اموال الشيعة الطائلة التى تجبى من المؤمنين باسم الامام الغائب بنسبة الخمس مما يكسب كل فرد منهم

وكانت المدارس الدينية فى النجف — فى العراق — وفى قم — فى ايران — وهما اكبر مراكز التعليم الدينى للشيعة — وغيرهما من المراكز — تعيش على اموال الشيعة التى يسيطر عليها آية الله كاشانى ، وبالتالى كان طلبة هذه المدارس رسل دعاية لآية الله ، وكان خطباء المساجد وائمتها — وهم ايضا يتقاضون مرتباتهم من اموال الشيعة — السنة تسبح فى المساجد بحمد آية الله وشكره

وبهذا كله سيطر آية الله على رجل الشارع فى ايران ، ولكنه

كان يريد ايضا ان يسيطر على البرلمان والراى العام الواعى وراء البرلمان ، ومن هنا نشأت الكتلة الوطنية فى مجلس النواب، وكانت اقلية تتألف من عشرة نواب معظمهم تخرج فى السوربون ، جامعة فرنسا العريقة ، ولكنهم جميعا لهم آمال ومطامع ، وهكذا انضموا برئاسة الدكتور محمد مصدق تحت لواء آية الله كاشانى

ولما وقف اللورد فانسينارت الدبلوماسى الانجليزى العجوز يهاجم آية الله كاشانى فى مجلس اللوردات البريطانى ، ووقف بعده وكيل الخارجية البريطانية فوافق على ان « المهيج الارهابى » آية الله كاشانى هو سر الكوارث الواقعة فى ايران ـ لما حدث هذا أقام نواب الكتلة الوطنية الدنيا وأقعدوها فى مجلس النواب الايرانى ، هجوما على الانجليز وانتصارا لآية الله . وكان بين ما قاله الدكتور بقائى :

«ان التراب الذى يسير عليه آية الله كاشانى بحذائه، اشرف مليون مرة من رؤوس كل ساسة الانجليز » !

والعامل الاخير من عوامل نفوذ آية الله كاشانى هو جمعية فدائيان اسلام الارهابية الدينية

وهى ايضا ـ ملجؤه الاخير !

كان يلجأ اولا الى نفوذه الروحى ليحقق ما يريد

فاذا عجز النفوذ الروحى لجأ الى نفوذه الشعبى المنتشر فى المساجد على السنة الطلبة والوعاظ والائمة

فاذا عجز النفوذ الشعبى لجأ الى النفوذ السياسى ممثلا فى الكتلة الوطنية فى البرلمان

فاذا عجز النفوذ السياسى لجأ الى النفوذ المادى الذى تسنده كل أموال الشيعة

فاذا عجز النفوذ المادى ، وعجز قبله كل نفوذ ، عن تحقيق

رغبات آية الله كاشاني واهدافه ، نحى كل ذلك جانبا ، وترك الكلمة لفدائيان اسلام
وتتكلم فدائيان اسلام
كلماتها .. طلقات رصـــاص ...
وعباراتها ... مدافع رشاشة !!

٢ ـ القاضي يغمى عليه فوق منصته

وآية الله كاشاني هو الزعيم الروحي الاعلى لفدائيان اسلام ، ومنه تســـتمد الوحي وتنتظر الارشاد ، ولـكنه ليس الرئيس التنفيذي المباشر لها

ولقد بدات قصة « فدائيان اسلام » منذ ست سنوات فى مدينة « النجف » المركز الشيعي الكبير .

كان « نواب صفاوى » ـ صاحب فكرة فدائيـــان اســـلام ورئيسها التنفيـــذى المباشر ـ يجلس فى مسجد الهندى بالنجف ذات صـــباح فوقعت فى يده صحيفة ايرانية تحوى مقالا كتبه الصحفى الايرانى المشـــهور « كسروى »

ووجد « نواب صفاوى » ان المقـال يحمـل طعنا فى الـدين الاسلامى ـ أو هكذا تصور ـ فاستشاط غضـبا ، وذهب الى أحد المجتهدين من ائمة الشيعة يعـرض عليه المقـال ويســـاله رايه فيمن يكتب هذا الكلام

وقال الامام المجتهد :
ـ كافر ، ويحل قتله !

قالها الامام المجتهد ببســـاطة ولم يكن يدرى ان فتواه هـــذه ستكون امرا بتاليف اكبر جمعية ارهابية فى الشرق !

واحتفظ «نواب صفاوى» بفتوى الامام المجتهد فى قلبه ، وحمل عصاة ضخمة فى يده وسافر الى طهران ليبحث عن « كسروى » الكافر الذى يحل قتله

واستقر « نواب صفاوى » فى مسجد « سباه سالار » ـ أكبر مساجد طهران ـ وروى لى صديق له من فدائيان اسلام انه كان يقضى يومه جالسا فى صحن المسجد على حافة البركة التى تتوسطه ، يراقب الاسماك الملونة الصغيرة وهى تسبح فى مائها المثلج، ويفكر ولا ينقطع عن التفكير فى احسن الطرق لقتل كسروى !

وكان « مسجد سباه سالار » ملتقى لجمع من الشباب المتدينين الذين تغلى فى صدورهم براكين التعصب مشتعلة متاججة !

وهمس « نواب صفاوى » بفكرته واذا صداها يجمع حوله عددا من الزملاء الجدد هم رواد « فدائيان اسلام » الاول !

وسجلت « فدائيان اسلام » وجودها عمليا حينما هجم ثلاثة من اعضائها على كسروى ـ الكافر الذى يحل قتله فى راى امام الشيعة المجتهد ! ـ وظلوا يضربونه بالعصى الغليظة حتى سقط على الارض ممزقا ، واعتقد افراد فرقة الهجوم انه مات ، فانصرفوا عنه !

ولكن الحياة لم تكن بعد قد انصرفت عن جسد « كسروى » وكان القدر يريد ان تكون لعمره بقية .

ونقل الى احد المستشفيات ، حيث اجريت له عملية بدات الحياة على اثرها تدب الى جسده بعد ان كادت تفارقه !

واعلنت فدائيان اسلام ان ظهر الارض قد طهر من خائن استقر جسده النجس ـ ! ـ تحت التراب ، ثم اكتشفت بعد ساعات ان وجه الارض لم يتم تطهيره . . وان كسروى لم يمت بل ان الامل كبير فى شفائه

وباتت « فدائيان اسلام » تقرض انيابها غيظا لافلات الفريسة من يدها ، ولكن صدرها امتلأ في الوقت نفسه باحقاد جديدة انتظارا لفرصة سانحة !

وشفي كسروي وعاد يباشر حياته العادية وهو يعلم ان سيوف التهديد التي شرعتها فدائيان اسلام مصلتة فوق راسه، وكان قد احتاط لذلك فحمل مسدسا وعين حارسا يتبعه كظله يحمل مسدسا آخر

وذات صباح وقف كسروي ـ وكان محاميا الى جانب كونه صحفيا ـ يترافع امام احدى الدوائر القضائية في وزارة العدلية بطهران وفجاة تسلل الى غرفة المحكمة اربعة على راسهم نواب صفاوي نفسه ، وفي هذه اللحظة بدات الفرقة ـ غرفة المحكمة في وزارة العدلية ـ تدوي بطلقات الرصاص وهرب الذين كانوا في القاعة جميعا ، شهودا وحجابا ومحامين ومتفرجين واغمي على القاضي الجالس فوق منصته العالية

ولم يفلت كسروي هذه المرة فقد سقط قتيلا وفي جسده ١٢ رصاصة وسقط حارسه الذي يتبعه كظله ـ قتيلا هو الآخر ـ بينما كان يحاول اخراج مسدسه

وخرج القتلة الاربعة من دار العدلية ومسدساتهم في ايديهم ثم ابتلعتهم مساجد طهران ذات الظلال الغامضة !

وطلعت الصحف ببيان من فدائيان اسلام تعلن فيه ان العالم قد استراح من شرور كسروي، واستراح بحق وحقيق هذه المرة ! .

وكانت المفاجاة الكبرى بعد ذلك هي خروج آية الله كاشاني الى الميدان ، فقد برز فجاة يتبنى فدائيان اسلام ، ويعلن انه يبارك قتل كسروي

ووجدت سلطات الامن في طهران أن الموقف ينذر بالخطر فتحركت بسرعة ، والقت القبض على نواب صفاوى وعلى نفر من اصدقائه ووجهت اليهم تهمة قتل كسروى

وبدات المحاكمة في جو صاخب، وكانت ايامها امتحانا عجيبا لاساليب « فدائيان اسلام » التى كانت بياناتها المتوالية تقرع صفحات الجرائد كل يوم كأنها الطبل المدوى ، ووراءها نداءات آية الله كاشانى التى تقيم الدنيا وتقعدها .

وبحثت سلطات العدالة عن شاهد اثبات واحد من العشرات الذين كانوا فى قاعة المحكمة ساعة وقوع هجوم « فدائيان اسلام » لقتل كسروى فلم تجد شاهدا واحدا يتقدم ، حتى القاضى الذى كان يجلس على منصته يباشر الاحكام بالعدل بين الناس قال انه لم ير شيئا : لقد سمع الرصاص يملأ جو القاعة ، وشاهد النار تطير من حوله ، فسقط مغشيا عليه ولم يشعر بشيء الا بعد ساعات !!

وجاء يوم النطق بالحكم على المقبوض عليهم الاربعة

وحين دخل القضاة الذين سيصدرون الحكم فى الصباح الى دار العدلية ، فوجئوا بزينات غريبة على مدخل الدار

وسأل القضاة عن سبب الزينات فقيل لهم : انها احتفال بتبرئة نواب صفاوى وزملائه

وقال القضاة : ولكننا لم نصدر الحكم بعد ..

وقيل لهم : ولكن « فدائيان اسلام » اعلنت ثقتها فى عدالتكم

وعرف القضاة ان هذه الزينات ممتدة من دار المحكمة الى بيت آية الله كاشانى الذى دعا المتهمين — الذين لم تصدر الاحكام عليهم بعد — الى الغداء فى بيته احتفالا ببراءتهم — ! — هكذا كان الامر قد فرغ منه وانتهى ، وكان كاشانى هو الذى

سيصدر الحكم !!

وشاهد القضاة – أيضا ! – على باب قاعة المحكمة عددا من الخراف ، وقيل لهم ان آية الله كاشانى أمر بأن تذبح ضحية تحت أقدام نواب صفاوى وزملائه بعد خروجهم قبل الظهر من المحكمة ..

هكذا بمنتهى البساطة !..

وحين دخل القضاة ليجلسوا على منصتهم العالية فى قاعة المحاكمة وجدوا ان مقاعد المتفرجين كلها قد امتلأت بذوى الأردية البنية القاتمة واللحى المرسلة ، والعيون التى تضوى بنار التعصب الذى يصل الى حد الجنون ..

ولم يجد القضاة مفرا ولا مخرجا فنزلوا عند حسن ظن آية الله كاشانى بهم وكان حكمهم بالبراءة !

وخرج نواب صفاوى واصدقاؤه ليجدوا الخراف تذبح تحت اقدامهم امام قاعة المحكمة وليجدوا الجموع الهاتفة تنتظرهم فى مواكب حافلة تتهادى بهم تحت الزينات وبين مظاهر الافراح الى بيت آية الله كاشانى

وكان الموقف فى حاجة الى رجل حازم ..

وبدأ « هجير » وزير البلاط بحكم الخطط والتدابير حتى تمكن من نفى «آية الله كاشانى» خارج حدود ايران .

واختار آية الله ان يقضى أيام المنفى فى بيروت .

وحين وصل الى بيروت ، كانت صحف العالم تحمل أنباء غامضة عن اغتيال وزير البلاط الايرانى «هجير»

وخرجت صحف طهران بما يقطع الشك باليقين – تحمل بيانا من « فدائيان اسلام » ، وفى نفس اللحظات كان قاتل (هجير) يقف امام المحققين يقول لهم :

ـ اسمى حسين امامى ، وقدقتلت «هجير» ، بامر من فدائيان اسلام .

وعاد آية الله كاشانى مرةثانيةالى طهران ليستقبل بعواصف هوجاء من الحماسة ، والجنون !

وظلت الامور تجرى على هذاالنحو

آية الله كاشانى يعطى الوحى والالهام

ونواب صفاوى يصدر الاوامر والتعليمات

واعاصير فدائيان اسلامتنطلق اعصارا تلو اعصار ، حتى وقف خليل طهمسبى اخيرا يقول :

ـ نعم قتلت رزم آراه بامر فدائيان اسلام !!

٣ ـ ليخرج الانجليز الكلاب

ولقد قابلت آية الله كاشانىأربع مرات خلال الاسابيع التى عشتها فى أزمة طهران

وتم اللقاء الاول بوساطةالدكتور محمد فاطمى رئيس تحرير جريدة باختر أمروز ـ ومعناها الغرب اليوم ـ وهى الجريدة المسائيةالقوية التىتعبرعن راى الكتلة الوطنية ، وكان صاحبها ـ الدكتورفاطمى نفسهـ هو أول من كتب عن ضرورة تاميم البترول !

وركبت سيارة تاكسى من«خيابان شاه » اقصد زيارة آية الله ..

وذكرت عنوان البيت للسائقولم ازد حرفا ، والتفت السائق الى بحدة ثم قال :

ـ هل انت ذاهب الى بيتآية الله ؟ لماذا لم تقل : اذهب

الى بيت آية الله وتوفـــر على نفسك حفظ العنوان .

وسكت السائق ثم استطردوقد رق صوته :

ـ آغاى .. (أى ايها السيد) .. لاتؤاخذنى ما كان ينبغى ان ارفع صوتى امامك وانت ذاهب الى بيت آية الله !!

وتوقفت الســيارة أمام البيت لأجـد ثلاثة أدلاء فى انتظارى ، وقطعت وراءهم هذه الرحلة الغامضــة فى السراديب المثيرة والدهاليز المعتمة ـ والتى قدر لى فيما بعد ان اقطعها ثلاث مرات اخرى ـ الى غرفة العبادة الخاصة بآية الله كاشانى !

ولم يكن صــعبا ـ قبل دخولى هـــذه الغرفـة ـ ان أعرف مبلغ ازدحامها بالناس ، فان نظرة واحـدة الى مئات الأحذية المرصوصة خارجها من كل الانواع والاشـكال والالوان : كافية .. بل اكثر من كافية !

ودخلت الغــرفة واذا بصرى يتجــه ـ فورا ـ وفى فضول عجيب ـ الى الرجل الجالس فى صــدرها : ذلك الشيخ العجوز ، ذى السبعين سنة ، وذى اللحية البيضــاء ، والعمامة السوداء : آية الله ابو القاسم كاشانى !

واحسست فى اللحظة نفسها يدا توضع على كتفى وتضغط عليها لأجلس على الارض ، وجلست ، ولـكنى كنت لا أزال فى أول الغرفة فبدأت اعبر المسافة الى آية الله زحفا على ركبتى ، وفهمت فيما بعد ان التقاليد كانت تقضى بان اقترب منه هكذا !

وكان جو الغرفــة ساخنا من حرارة الانفاس المؤمنة التى تتردد بين جدرانها ، ومن بخار أقداح الشاى الدافئة التى تدور كل عشر دقائق على الجالسين حفاوة واكراما ، ومن النظرات الملتهبة التى تطل من عيون ذوى اللحى الكثيفة !!

واعتدل آية الله على الحشية التى كان يجلس عليها ، ووضع

فى نفس الوقت بوصلة تبين الاتجاهات ـ كان يمسك بيده ـ أمامه على الأرض والتفت الى

وكانت هناك نظرة تتألق ذكاء فى عينه ، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة عذبة مليئة بالثقة والقوة !

وقال ـ باللغة العربية ـ بلهجة فارسية غريبة :

ـ اعذرنى اذا كنت اتكلم العربية هكذا ، انى اقرؤها جيدا ولكنى اخشى ان يكون نطقى لها عسير الفهم على السامعين !

واستطرد يسألنى :

ـ ماذا رأيت فى ايران ؟

وهززت رأسى وقلت :

ـ الحق انى لم ار شيئا ، انى اعيش ـ منذ دخلت حدود ايران ـ فى الغاز متشابكة ، اسمع فى الصباح عكس ما أسمعه فى المساء وما يقوله لى واحد ويقسم عليه ، ينكره آخر بأيمان مغلظة ، ولست أعرف ماذا أقول للناس فى مصر حين أعود لو سئلت عن حقيقة ما هو حادث فى ايران ؟ . .

وضحك آية الله والتفت الى واحد من علماء الشيعة كان يجلس بجواره ـ يترجم له ما قلت باللغة الفارسية ثم التفت الى ، وكانت ملامحه قد بدأت تتغير

كان لمعان عينيه قد استحال بريقا حادا كسنان سيف مشرع وضاعت الابتسامة الرقيقة التى كانت تهتز على شفتيه ليحل محلها تعبير قاس يشد عضلات شفتيه فى حزم وصراحة .

وقال آية الله والكلمات تنساب فى بطء بين شفتيه :

ـ هل تريد الحقيقة فى كلمة واحدة : اننا نريد اخراج الانجليز الكلاب من بلادنا

وتمهل وعيناه تتوهجان :

– نعم .. ليخرج الانجليز الكلاب من بلادنا ، وليخرجوا ايضا من كل بلد اسلامي

ومضى آية الله كاشاني وهو يشير بيديه في وجهي :

– لقد أضاع الكلاب الانجليز استقلالنا .. كما اضاعوا من قبل قرآننا .. اين هو القرآن ؟ واين احكام القرآن ؟

وإشار الى قلمه الملقى على الارض بجوار البوصلة ثم قال :

– اكتب .. اكتب للدول الاسلامية على لساني ، قل لهم ان أبا القاسم كاشاني خادم الاسلام والمسلمين يقول انه لن تقوم لكم قائمة الا اذا بنيتم حياتكم على احكام القرآن

واستطرد وهو يهز رأسه أسى:

– ان الانجليز الكلاب سرقوا منا القرآن ، وكان جلادستون ..

وقطع كلامه ليسألني :

– هل تعرف جلادستون ؟ كان كلبا انجليزيا ، وكان رئيسا لوزارة الكلاب الانجليز ، جلادستون هذا كان يقول انه لاطريق للانجليز بين الامم الاسلامية مادام فيها القرآن ويجب ان يأخذوه منها ليستطيعوا اذلالها ...

ورفع آية الله يده الى السماء وقال :

– وسعى جلادستون الكلب وسعى بنو قومه الكلاب حتى اضاعوا من بيننا القرآن ..

وهدأت العاصفة ..

وعادت الابتسامة الرقيقة ترف على شفتي آية الله ، والنظرة الهادئة الحالمة تشع في عينيه ثم قال :

– سوف يموت كل الخونة من اعوان الانجليز وتقطع ايديهم ، لقد قطعت يدي واحد منهم منذ يومين وسوف يلحقه الباقون ..

ومضى بنفس الابتسامة والنظرة الحالمة :

ـ لقد كان قتل رزم آراه بوحى والهام وتوفيق من الله ، وليذهب دمه عظة وعبرة لضعفاء الايمان المترددين ..

واستطرد آية الله وقد عادت الى عينيه حدة السيوف والى شفتيه تقلصات القسوة والعنف :

ـ سوف يؤمم البترول ،سوف يؤمم البترول ، وتصبح كل قطرة زيت تخرج من ارض ايران ملكا لشعب ايران وحده دون شريك !

واستمر الحديث برهة عن ايران ، ثم انتقل آية الله الى احوال الدول العربية يتحدث عنها وفجاة قال :

ـ كيف حال مفتينا الكبير ؟

وومضت عيناه حنانا وهمس :

ـ كم أتمنى لو جاء الحاج امين الحسينى الى ايران

وغادرت الغرفة العجيبة بعد ساعتين ..

وكان هـذا أول لقاء لى مع آية الله !

٤ ـ آية الله عاتب على اخبار اليوم

وكان لقائى الثانى مع آية الله قصة عجيبة !

كنت قد ارسلت وصفا للقائى الاول معه ، ورسالة عن الموقف فى طهران الى اخبار اليوم

ووصل ماكتبته فى نفس يوم ظهوره فى القاهرة ـ الى طهران ، ونشرت صحف طهران المسائية اجزاء منه .

وفى ذلك اليوم كنت قد غادرت العاصمة الايرانية فى الصباح

بالطائرة فى زيارة سريعة لقاطعتى المازندران والجيـــلان فى منطقة الشمال ، ولم أعد الى طهران الا فى الساعة الثامنة من المساء

ودخلت باب الفنـــدق متعبا منهكا مهدود القوى ، وكان اول ماطالعنى ســتة وجوه أو سبعة تتدلى منها لحى طويلة وخيل الى انى اعرف بعض هـــذه الوجوه ثم تذكرت انها وجوه رايتها يوم قابلت آية الله كاشانى

واقترب منى أحدهم ، وكانت عيناه جامدتين لا ترســمان اى تعبير وقال :

ــ ان آية الله يريـــد أن يراك حالا ! .

وقلت معتذرا :

ــ ولكنى متعب منهــوك .. فماذا لو ذهبت اليه فى الصباح

ورسمت العينان صــورة للاصرار وقال الرجل :

ــ ان آية الله يـــريد ان يراك حالا ، وانا هنـــا فى انتظارك منذ ثلاث ساعات ..

ولم يكن هناك مفر ، وركبت مـــع الرجـــل وباقي زملائه ، سيارة انطلقت بنا فى الطريق الى بيت آية الله !

والتفت الى الرجل عاتبا :

ــ أنا فى دهشة .. كيف أن رجلا مسلما مثلك يفعل مايغضب آية الله ؟ ..

ونظـــرت اليه فى ذهول من انقضت عليه صاعقة :

ــ هل فعلت مايغضب آية الله . . . أنا ؟

وقال الرجـــــل : ان بعض ماكتبته لم يعجبه !

وقلت فى دهشـــة : ولكن اين هو ماكتبته ؟ ..

فقال : لقد قرأ بعضه مترجما الى الفارسية فى جرائد بعد الظهر ووصلت اليه اخبار اليوم نفسها قبل ان اجىء لآخذك بدقائق

وتوقفت السيارة أمام بيت آية الله ونزلت مع (حراسى) الف وأدور فى السراديب المظلمة والدهاليز القاتمة وفى راسى دوامة تهدر ..

انا واثق ان ما كتبته ليس فيه مايغضب آية الله ، ولكن هل نشرت «أخبار اليوم» غير رسالتى لها ، شيئا عن الموقف فى ايران — من مصدر آخر — أغضب آية الله ؟ .

واذا كان هذا هو الوضع .. فكيف أتصرف ؟

وطالعتنى مئات الاحذية ،المختلفة الاشكال والالوان والاحجام ، خارج غرفة آية الله ،وكان قلبى يدق فى عنف .. ولكن ما حيلتى !

وكان استقبال آية الله وديا ،ولكنى احسست ان شيئا من التحفظ يشوبه !

وقررت ان أكون البادىء بالهجوم فقلت :

— لقد فهمت (واشرت الى الرجل الذى جاء بى) ان لسيادتكم ملاحظات على ماكتب فى اخبار اليوم

واخرج آية الله نسخة من اخبار اليوم من تحت طرف الوسادة التى يجلس عليها ثم اقترب منى واشار فى نفس الوقت الى اول سطر من رسالتى فى الصفحة الاولى من اخبار اليوم وقال وصوته ينصب همسا فى اذنى :

— انت تقول انى سيد الموقف فى « طهران »

ورمقنى بنظرة نفاذة ثم تساءل

— هل نفوذى لا يمتد الى خارج « طهران » ، لماذا لم تستعمل « ايران » بدلا من « طهران »

واحسست بالهدوء يعود راجعا الى قلبى ، وابتسمت وانا أقول:

— اهذا كل شىء ؟ ... لقد قصدت بطهران ان ارمز بالعاصمة

الى الدولة كلها وهذا واضح على ما اظن .

وفكر آية الله لحظة ثم رفـع راسه وعلى شـفتيه ابتسامته الرقيقة التى تلمع ذكاء وقال :

ــ هناك شيء آخر !

وفتح الصفحة الثالثة من اخبار اليوم وقال :

ــ « لقد كتبت ان الكلمات تخرج مضعضعة مكسرة من فمي »

وقاطعته فى دهشة : انا لم اقل هذا ولم اكتبه !

ومددت يدى فأخذت منه نسخة اخبار اليوم ونهبت سطورها بعيني ، فى نفس الوقت الذى احسست فيه ان مئات العيون المطلة من الذقون الكثيفة التى تملأ الحجرة ترمقنى فى انتظار وترقب .. وغضب !

ووصلت الى الفقرة التى اثارت اعتراض آية الله وقلت :

ــ انا لم اقل ان الكلام يخرج من فمك مضعضعا مكسرا وانما قلت : « وكانت الكلمات تمشي ببطء بين شفتيه »

وهناك فارق كبير فى المعنى بين الوصفين !

ونظر الى آية الله فى دهشة وقال : اهذا صحيح ؟

قلت : هاهو ذا بحروفه هنا فى « اخبار اليوم »

واخرج آية الله نسخة الجريدة الايرانية التى ترجمت ما نشرته اخبار اليوم وقال :

ــ اذن فهناك خطأ فى الترجمة الايرانية

واستطردت انا قائلا :

ــ ولقد اردت بقولى « وكانت الكلمات تمشي ببطء بين شفتيه » أن ارسم صورة للثقة واليقين اللذين كنت تنطق بهما كلماتك !

واتسعت الابتسامة على شفتي آية الله ، ومد يده فربت فى حنان على كتفي

وصاح الرجل الذى كان قد اوفد ليأتي بي من فندقى . .
صاح فجأة دون مقدمات، وبصوت جهورى وهو يرفع يديه الى الامام:
ـ برىء والله أخونا المسلم !
ونظرت اليه فى ذهول وهمست:
ـ وهل كان أخوكم المسلم متهما ! ؟
ولكنى احد الجالسين بجانبى، وكان يبدى لى توددا طوال الجلسة وهمس :
ـ لا تقل شيئا ، وارفع الشكر الى السماء ان جاءت النتيجة هكذا !
ومد آية الله يده مرة ثانيــــة فربت على كتفى وهو يقـــــول :
الحمد لله
وفجأة انطلقت وراءه أكثر من مائة حنجرة تصيح : الحمد لله!
ونظرت حولى ، وكانت العيون المطلة من الذقون ، تتأرجح وسط الشعر الكثيف فى ود وحنان ! !

٥ـ اهم من قابلهم بعد هتلر

وكان لقائى الثالث مع آية الله يوم ذهب لمقابلتــه . الصـحفى الانجليزى الذائع الصيت «سفتون ديلمر» كبير مراسلى جريدة الديلى اكسبريس
وكان آية الله قد رفض مقابلة ديلمـر لانه « انجليزى كلب » ، ولكن « ديلمر » ثابر وجاهد حتى قابل آية الله
وكان منظر الانجليزى البدين المرح وهو جالس على ركبتيه امام « آية الله كاشانى » منظرا مثيرا بديعا
وفى اول المقابلة كان « آية الله » مشغولا عن « ديلمر » بحديث تليفونى مع الجنرال جرزون رئيس هيئة اركان حرب الجيش الايرانى،

وكان آية الله يقول لرئيس اركان الحرب ، وفى صوته هدوء مشوب بالنذر الخفية :

ـ لقد بلغنى أن بعض الضباط من خدم رزم آراه الخائن يريدون الاعتداء على حياتى وانا انذرك بصفتك رئيسا لهيئة اركان الحرب ان تتخذ الاجراءات لردع امثال هؤلاء المجانين ... انى لا اريد أن أتدخل بنفسى لردعهم ـ وأنا قادر على ذلك ـ وأترك لك الموقف واطلب منك ان تبلغنى ما سوف تفعله !

ووضع آية الله سماعة التليفون مكانها ثم التفت الى ديلمر !

وقال آية الله للمترجم الذى سينقل الحديث بينه وبين ديلمر :

ـ سوف تنقل اليه ما أقول حرفا بحرف ... افاهم أنت ؟

ثم بدا يوجه الحديث الى ديلمر :

ـ لقد رفضت أن أقابلك ... لانى لا أحب بنى قومك !

ونقل المترجم حرفيا :

ـ لقد رفضت ان اقابلك ... لانى لا احب بنى قومك !

وواصل آية الله كلامه :

ـ انى اعتقد أن كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك فى مقابلتى قالوا لى انك لست كلبا كباقى الانجليز ، وانك فلتة طيبة فى امة رديئة !

ونقل المترجم حرفيا :

ـ انى اعتقد ان كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك فى مقابلتى قالوا لى انك لست كلبا كباقى الانجليز ، وانك فلتة طيبة فى امة رديئة !

وابتسم ديلمر فى صمت وهدوء وصبر .

ثم بدات الاسئلة والاجابات كأنها مبارزة بالرصاص

قال ديلمر : ما هو رايك فى رزم آراه ، وفى مقتله ، وفى قاتله ؟

وابتسم آية الله وقال :

ــ رزم آراه خائن ، وقتله عمل مبارك ، وقاتله بطل !

وقال ديلمر : لماذا يحبك الناس اكثر من الشاه ؟

وابتسم آية الله وادرك ان ديلمر يريد ــ او يتوهم كما قال آية الله فيما بعد ــ أن يحرجه ولكن آية الله قال بهدوء :

ــ الناس يحبون من يعمل لصالحهم ومن يخدمونهم ويجاهدون من اجلهم !

واستمرت الاسئلة والاجابات فى سخونة البارود ساعة كاملة ثم خرج ديلمر يكتب للديلى اكسبريس رسالة تبدأ هكذا :

« ساعدنى يارب ... ساعدونى ايها الناس ... لقد قضيت ساعة محمومة ، اقوم فيها بمقابلة سياسية هى دون شك اهم مقابلة قمت بها منذ عشرين عاما ، ولم يسبق لى أن شاهدت لها مثيلا الا حين قابلت أدولف هتلر يوم حريق الريخستاج الالمانى ــ المشهور ! »

ثم اردت ان اودع آية الله قبل عودتى الى القاهرة ، فذهبت اليه للمرة الرابعة والاخيرة ، وكان فى هذه المرة سائلا ، وعلى أنا ان أجيب سائلى عن الاحوال فى مصر ، فقلت له :

ــ ان التعليم والصناعة فى مصر ينتشران بقوة كبيرة

وقاطعنى آية الله وهو يهز رأسه فى تبرم :

ــ تعليم ماذا .. وصناعة ماذا ؟ انهما ملهاة عن الجهاد ، واذا انقطع الناس للعلم والصناعة ، فمن يجاهد ؟!

ثم قال لى بعد قليل :

ــ قرأت فى « اخبار اليوم » ان فى مصر اتجاها لتأميم قناة السويس .

وضحك والتفت الى من حوله :

ــ انى مسرور لان ما نصنعه هنا يجد صدى مماثلا له فى

البلاد الاسلامية
واشار الى ان اقترب منـه وبدا يهمس فى اذنى :
ـ قل لى .. الا يعرفنى النحاس باشا ؟
وهمست فى اذنه بدورى اسأله : لماذا ؟
وهمس آية الله : لقـد أرسلت له عنـدما تولى الوزارة برقيـة تهنئـة فلم يرد عليهـا ، ثم أرسلت له منـذ أسبوعين برقية اخرى اهنئـه باتجـاه مصر الى تأميم قنـاة السويس ، ولم يرد على حتى الآن ، فهل هى سياسة مقصودة ؟
وقطع آية الله همسه معى حينما دخل احد اعوانه يحمل اليـه رسالة خطيرة ، واستغرق آية الله فى قراءتها ثم التفت الى يقول :
ـ ان بعض قطع الاسطول الانجليزى تجوب الخليج الفارسى فى تأهب واستعداد ، للنزول الى خوزستان ، مقاطعة البترول فى الجنـوب الغربى ، واذا اقدم الانجليز الكلاب على هذا فانهم سيجدون مقاطعة خوزستان كلها ارضا مشتعلة بالنار لانى سآمر باحراق آبار البترول اذا اقتضى الامر !
ورفع آية الله اصبعه مهـددا واستطرد :
ـ اذا كان الانجليز حريصين على ان يروا جهنم فى الدنيـا ، قبـل ان يريهم الله نيرانها فى الآخرة فلينزلوا كلبا واحدا من جنودهم فى خوزستان !!
وكان ذلك آخر ما سمعت من آية الله كاشانى !!



الفصل الخامس

ما تزرعه الرياح تحصده العواصف

« حكمة قديمة »

الملك يرشح والشعب يختار – نعى رئيس وزراء – أسرته تتدخل – كلهم غير صالحين – وجهة نظر اليمين – التيار يتحول – تودة مستعد – استاذ فى الجامعة – ٥٢ شابا فى السجن – جعفر بيشفارى – جمهورية فى الشمال – نشاط تحت الارض – اقوى الاحزاب فى طهران !

١ - ضجة في مجلس النواب

وهكذا كان آية الله كاشانى سيد الموقف فى طهران لعدة ايام بعد مصرع الرجل القوى - رزم آراه

كان وحده القوة ، وكان وحده السلطان . وكان ابرز مظهر من مظاهر قوته ان ايران لا تزال بلا وزارة لسبب واحد هو ان آية الله - الزعيم الدينى - لم يسبغ رضاه السياسى على واحد من الذين رشحهم الامبراطور لرئاسة الوزارة !

ولقد قام الامبراطور بعدة محاولات للسيطرة على الموقف او على الاقل لتهدئة حدته ، وكان الامبراطور يدرك ان الخطوة الاولى هى ان تكون لايران وزارة ورئيس وزراء ، ولكن آية الله وقف فى الطريق !

واراد جلالة الشاه بادىء الامر ان يختصر الاجراءات لسرعة حل الازمة فاستقر رايه على ان يعين السيد خليل فهيمى - الذى كان وزيرا للدولة فى وزارة رزم آراه - والذى كان قائما باعباء منصب نائب رئيس الوزراء بتكليف الشاه - رئيسا للوزراء

والملك بنص الدستور الايرانى لا يملك ان يأمر احدا بتشكيل الوزارة الا اذا رضى البرلمان ، والتقاليد ان يرشح الملك - مجرد ترشيح - من يراه كفئا للرئاسة ويطلب منه ان يتوجه الى البرلمان ويعرض نفسه على النواب فان وافقوا خرج المرشح من البرلمان ليؤلف وزارته ، واذا لم يوافقوا فعلى صاحب الجلالة ان يبحث عن مرشح آخر

ودخل السيد فهيمى دار البرلمان مرشحا من جلالة الشاه لرياسة الوزارة ، وكانت جلسة عجيبة !

كانت هذه اول جلسة يعقدها المجلس بعد قتل رزم آراه ، ورأى السردار فاخر حكمت رئيس المجلس ، ان يبدأ الجلسة بكلمة رثاء لرئيس الوزراء الذى قتل

وكان الجو مشحونا بالنذر ، وبدأ السردار فاخر حكمت يتكلم وسط الصمت الرهيب الذى ساد ذلك الاجتماع التاريخى للمجلس ، وارتفع صوته يقول فى وقار وهدوء :

« لابد ان حضرات الاعضاء الموقرين قد تابعوا الموقف ، والاحداث المحزنة التى ترتبت عليه، مما روع البلاد منذ يومين»

ولم يكمل السردار فاخر حكمت كلامه فقد انفجر النواب فجأة هاتفين :

« يحيا تأميم البترول .. يحيا تأميم البترول »

ثم سكت النواب بعد قليل ليستأنف رئيس المجلس كلامه :

«لقد قتل الجنرال على رزم آراه رئيس الوزراء .... »

واضطر السردار فاخر حكمت الى السكوت مرة ثانية، ووقف الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية، الذى اصبح فيما بعد رئيسا لوزراء ايران ـ يقول :

ـ ما هذا الكلام الذى لا معنى له ... ماذا تريد ان تقول يا حضرة الرئيس .. اترك هذا واهتف معنا بحياة تأميم البترول

ومرة ثانية انفجر المجلس هاتفا ، واستمرت العاصفة عشر دقائق متوالية

ثم هدأت الضجة ووقف السيد خليل فهيمى نائب رئيس الوزراء ، ومرشح الشاه لتشكيل الوزارة ، وانا انقل هنا حرفا بحرف ، عن التسجيل الرسمى لهذه الجلسة ، تفصيلات ما وقع بعد ذلك

(السيد خليل فهيمى ـ نائب رئيس الوزراء ـ طلب الكلمة

وانتقل الى المنبر

«لقد ارسلتنى الحضرة الشاهانية الى هنا لألتمس ثقتكم حتى انهض بمهمة تاليف الوزارة رغبة من جلالة الشـاه فى انهاء الآثار السيئة التى تترتب على بقاء ايران بلا وزارة فى هـذا الظرف العصيب

ـ صياح من النواب .. من اليمين ومن اليسار

هتاف : لا نقبل .. لا نقبل

ـ اصوات مختلفة : كيف يقول انه يريد ثقتنا لكى يؤلف الوزارة ؟ هل صدر اليه امر بتاليفها ـ نحن لا نوافق ـ هـذا اعتداء على سلطة الامة

(الضجة تشتد ـ سعادة رئيس المجلس يأمر برفع الجلسة لمدة ربع ساعة)

وبعد نصف ساعة استؤنفت الجلسة من جديد ، ومرة ثانية أنقل هنا ما دار حرفيا عن السجل الرسمى للجلسة

بدأ الرئيس السردار حكمت فاخر الكلام متجها الى النواب

« لقد طلب الى ابلاغ المجلس الموقر ان الحضرة الشاهانيـة تعـرض على حضراتكم ثلاثة اسماء رشحت لتـأليف الوزارة ولحضراتكم الراى الاول والاخير فيمن ترونه يصلح من بينهم للقيام بهذه المهمة »

تلا الرئيس اسماء :

السيد خليل فهيمى نائب رئيس الوزراء

السيد على سهيلى سفير ايران فى لندن

السيد حسين علاء وزيرالبلاط الملكى

فوقف النائب اشتيانى زاده (من نواب الكتلة الوطنية) وطلب الكلمة ـ فأجابه الرئيس ، فاتجه الى المنبر وبدا كلامه :

« ايها الزملاء المحترمون

اذا كنا قد آمنا بالنظام الملكى فليس ذلك من اجل شخص صاحب الجلالة الشاهانية محمد رضا بهلوى !

لقد آمنا بهذا النظام لاسباب متعلقة بالظروف السياسية والوضع الجغرافى لهذه البلاد

ولكن ليعلم الشاه ان حكم ايران يجب ان يكون لنا وحدنا ، اننا نحن نواب الامة نملك ، ــ ولا احد سوانا ــ ان نعين رئيس الوزراء ، وليفهم صاحب الجلالة الشاهانية ان بقاءه على عرشه رهين باتباعه لاحكام الدستور

اننا نحن الذين نمثل مصالح الامة ونحن المسئولون عن توجيه مستقبلها ، ولذلك فان الامبراطور وهو غير مسئول يجب ان يمتنع عن التدخل فى شئون السياسة

ثم ان الملك فرد ، والافراد يخضعون لتأثيرات من حولهم ، ونحن لا نضمن عدم تأثر الحضرة الشاهانية بآراء اخوته واخواته ولا نعرف من غيرهم !

ولقد خالف الشاه تقاليد ايران الدستورية لما فرض علينا رزم آراه فرضا ــ والنتيجة ان شهدت ايران عهدا لا نظير له من الشقاء »

النائب اشتيانى زاده يستأنف كلامه :

« وتدخل الاجانب فى شئوننا

(النائب اشتيانى زاده يستأنف كلامه :

« لا نقبل اذن من الملك ان يفرض علينا شخصا بعينه لرئاسة الوزارة ، بل ولا نقبل منه ان يضع امامنا ثلاثة اسماء لكى نختار من بينها واحدا نكل اليه شرف تأليف الوزارة ، والا فماذا يحدث لو اننا رفضنا الاسماء الثلاثة التى يعرضها الشاه ، الا يعتبر

هذا اهانة لقدرة الملك على اختيار رؤساء الوزارة ؟ »
(ضجة وهتاف)
النائب محمود ناريمان يتجه الى الرئيس السردار حكمت فاخر ويقول له :
ـ يجب ان تذهب الآن وتطلب مقابلة الشاه وتبلغه هذا
النائب الدكتور محمد مصدق يوجه الكلام لرئيس المجلس :
ـ (افهموا جميعا اننا هنا نمثل الامة ونحن اصحاب الكلمة العليا)
وانتقل المجلس بعدها الى مناقشات حامية ..
رفض المجلس ان يوافق على تعيين خليل فهيمى رئيسا للوزارة وكانت ابرز الاعتراضات ضده ما يلى :
١ ـ انه كان وزيرا للدولة فى وزارة رزم آراه الخائن
٢ ـ انه حاول الدفاع عن رزم آراه بعد مقتله !
٣ ـ ان ميوله ضد التاميم
ورفض المجلس اسم السيد على سهيلى سفير ايران فى لندن لسبب واحد قاله النواب صراحة وهو انه صديق الاميرة اشرف شقيقة جلالة الشاه ، وان سمو ها هى التى رشحته للوزارة
وقبل ان يمضى المجلس فى مناقشة صلاحية السيد حسين علاء ، قال الرئيس السردار حكمت فاخر موجها الكلام لاعضاء المجلس :
ـ لقد تلقيت الآن ان السيد حسين علاء قد اعتذر لجلالة الشاه وطلب ان يرفع اسمه من قائمة المرشحين للوزارة
وقام بعض الاعضاء يقولون :
« انهم مع احترامهم للسيد حسين علاء وتقديرهم لاخلاقه واستقامته الا انهم يرون ان رئاسة الوزارة فى هذه الظروف

قد لا تكون مهمة مريحة للسيد علاء لانه :

١ ــ يشكو قرحة فى معدته
٢ ــ قضى سنى دراسته فى انجلترا
٣ ــ اشتغل بالمحاماة فى انجلترا
٤ ــ التحق بوظائف السلك السياسى ممثلا لبلاده فى الخارج
٥ ــ لا يستطيع ان يتكلم او يخطب باللغة الايرانية بطلاقة

وانفض اجتماع المجلس !!

٢ ــ شعاع احمر على الموقف فى طهران

وظلت ايران بلا وزارة مدة عشرة ايام !

عشرة ايام كاملة مليئة بالاحتمالات والاحداث، والازمات ، والمؤامرات ، وفى هذه الايام العشرة كانت المياه المتدفقة من الثلوج الذائبة على قمم الجبال المحيطة بطهران قد عادت معها بتطورات خطيرة

كان حزب توده الشيوعى قد انتهز الفرصة ، فرصة الازمة ، وفرصة المؤامرات ، وفرصة الذعر الذى اشاعته فدائيان اسلام وفرصة الفوضى التى خرجت ترعى طهران وتحكم وتأمر فيها ، فبرز كعامل قوى فى الميدان

والذى لا شك فيه ان حزب توده الشيوعى لم يلعب دورا ظاهرا ــ على الاقل ــ فى ازمة تاميم البترول ، وكان بعيدا كل البعد عن اغتيال رزم آراه ، وعن ارهاب فدائيان اسلام ، ولم يكن يملك قوة تسيطر فى طهران يوم كان آية الله كاشانى يقذف الى شوارع العاصمة بالمظاهرة تلو المظاهرة !

كان حزب توده قوة ضخمة قبل هذا كله ، وكان اقوى

الاحزاب دون شك ، واكثرها نظاما ، برغم انه كان منحلا بحكم القانون . ولكن هذا لا يمنع من التاكيد بأن تودة لم يكن من اسباب اثارة ازمة التأميم وما ترتب عليها من مقتل رزم آراه !

بل — وهذه حقيقة غريبة — كان حزب تودة بين الذين فوجئوا بقتل رزم آراه !

ولكنه لم يترك الفرصة تفلت

فاذا هو يحشـد كل قواه ليستغل الأزمة فى أغراضه ، ويوجه تطوراتها الى الاتجاه الذى يريده !

وثمت شيء هام احب ان اوضحه

لقد احس آية الله كاشانى — واحس نواب الكتلة الوطنية معه — وهم جميعا من اليمين المتطرف ، احسوا بعد ثلاثة ايام من الازمة — ازمة مقتل رزم آراه — أن حزب تودة الشيوعى يتحفز ويتحرك بسرعة لاستغلال الموقف والسيطرة عليه ، ولكن آية الله كاشانى ونواب الكتلة الوطنية — واليمين كله — كانوا يغلبون كفة التفاؤل على كفة التشاؤم ، ويبدو لى مما سمعته من آرائهم ان وجهة نظرهم تتلخص فيما يلى :

١ — تحاشى الاحتكاك علنا بحزب تودة مادام يسعى — فى الوقت الحاضر — الى نفس الاغراض التى يسعى اليها آية الله كاشانى والكتلة الوطنية

٢ — السيطرة على الموقف بسرعة

٣ — الالتفات بعد ذلك الى حزب تودة وتوجيه ضربة قاضية له

ولكن . . . كما قلت ، كان آية الله كاشانى ونواب الكتلة الوطنية ، واليمين كله ، متفائلين اكثر مما ينبغى !

والنتيجة — بعد اسبوع واحد — ان مراسلى صحف العالم

المكدسين فى فندق ريتز فى طهران — والذين كتبوا لجرائدهم ان آية الله كاشانى هو سيد الموقف — عادوا — بعد اسبوع واحد — يكتبون ويؤكدون ان السيادة على الموقف تنتقل بسرعة الى أيدى حزب تودة

وكان حزب تودة مستعدا للفرصة التى كافح وصبر وتحمل كل شىء من اجلها منذ اكثر من عشرين سنة !!

٢ — النبى الأحمر فى الجامعة

عشرون سنة قضاها حزب تودة يستعد ، ويكافح ويصبر ويقاسى !

لقد بدأت قصة حزب تودة مع بداية سنة ١٩٣٠ على وجه التقريب ، وكان الدكتور آرانى استاذ الكيمياء فى جامعة طهران هو الرجل الذى شاء له القدر ان يكتب السطور الاولى فى القصة ، وكتب الدكتور آرانى السطور بحياته هو

كان يدرس الكيمياء فى برلين ، وفى هذه الفترة اتصل بالحزب الشيوعى الالمانى الذى كان قويا قبل أن يلى هتلر امور المانيا ، وعاد الدكتور آرانى بشهادة الكيمياء ظاهرة فى يده ، وبعقيدة الشيوعية مستترة فى ضميره

وعين استاذا للكيمياء فى جامعة طهران ، ولكن دروسه عن الكيمياء كانت اقل بكثير من دروسه عن الشيوعية !

ثم ازداد نشاطه ، وخرجت دعوته من الهمس بين طلابه الى الجهر والعلن ، فقد بدأ يصدر جريدة اسمها « دنيا » تنطق بلسان الدعوة الجديدة ، واخذ يعقد فى بيته اجتماعات دورية يحضرها عدد من شباب أساتذة الجامعة

وطلابها .

وكان لابد لنشاط الدكتور آرانى واصدقائه ان يلفت اليه نظر صقر طهران فى ذلك الوقت وهو الجنرال مختارى رئيس البوليس السياسى فى عهد الشاه رضا بهلوى

وذات صباح تغيب الدكتور آرانى عن محاضرته العادية فى جامعة طهران

ثم عرف أن البوليس السياسى قد القى القبض عليه واودعه فى السجن ، ومرت بضعة شهور ثم صدر فى طهران بلاغ رسمى يقول : « ان الدكتور آرانى قد توفى فى سجنه مريضا بالتيفوس » !

ورفض انصاره وتلاميذه أن يصدقوا ، وتواترت الاشاعات عن سبب وفاته ، وبين الاشاعات ان الشاه رضا بهلوى قد أمر طبيبه الخاص فحقن الدكتور آرانى بالسم ليأمن اذاه وأذى الدعوة التى يبشر بها !

ودفن الدكتور آرانى فى مقابر « امام زاده عبد الله » ، ولكن القصة لم تنته !

لقد جعل منه انصاره وتلاميذه اسطورة استشهاد بديعة ، ورأى الشاه رضا بهلوى ـ بتدبير الجنرال مختارى ـ ان الامر يقتضى مزيدا من الحزم ، فصدرت الاوامر بالقاء القبض على عدد من تلاميذ آرانى بلغ ٥٢ شابا من صفوة المتعلمين المثقفين !

وظلوا فى السجن سنوات متعاقبة ، ثم تطورت الاحوال ، ودخل الحلفاء ـ الروس من الشمال ، والانجليز من الجنوب ـ الى ايران سنة ١٩٤١ ونزل الشاه رضا بهلوى عن العرش لابنه ، وكان اول شىء فعله الروس فى ايران هو فتح باب السجون أمام الاثنين والخمسين شابا من تلاميذ آرانى . . . الذين خرجوا من السجون ليؤلفوا حزب توده اى حزب الشعب !

وكانت الانتخابات على الابواب ، والجيش الروسى يرابط فى طهران ، وهكذا حصل حزب توده على خمسة مقاعد فى مجلس النواب الرابع عشر

ثم طرات مشكلة !

كان بين النواب الخمسة الفائزين واحد اسمه « جعفر بيشفارى » وقد نجح عن دائرة اذربيجان الشمالية ، ولكن مجلس النواب تلقى طعنا فى صحة نيابة جعفر بيشفارى على أساس انه من مواليد باطوم عاصمة القوقاز الروسى ، واذن فان جنسيته الايرانية موضع شك !

واصر مجلس النواب ، وكان الجيش الروسى كغيره من جيوش الحلفاء قدانسحب من طهران — على قبول الطعن المقدم ضد جعفر بيشفارى ، ولكن جعفر لم يستسلم للامر الواقع ، فغادر طهران الى تبريز عاصمة اذربيجان حيث الف الحزب الديمقراطى وطرد الحاكم الايرانى المعين من حكومة طهران واعلن قيام جمهورية شعبية ديمقراطية فى ولاية اذربيجان !

واكثر من هذا اعلن جعفر بيشفارى انه يعد العدة للزحف على طهران !

ولم تتحقق احلام جعفر بيشفارى فى طهران بل ضاع كيانه فى تبريز نفسها وفشلت الجمهورية الشعبية الديمقراطية لان موسكو لم تكن تؤمن بأن الوقت مناسب لها أولا ، ولانها حصلت على وعد من قوام السلطنة رئيس وزراء ايران بأن يعطيها امتيازا للبحث عن البترول فى الشمال ثانيا ، وثالثا واخيرا لان الجيش الايرانى بقيادة الجنرال رزم آراه بدا يوجه لقوات الثوار ضربات ساحقة !

وفر جعفر بيشفارى الى موسكو ولم يسمع عنه شىء من

يومها ، اما الجمهورية الشعبية الديمقراطية فقد تحولت الى انقاض !

وفى الانتخابات الثانية ، انتخابات المجلس النيابى الخامس عشر ، لم ينجح نائب واحد عن حزب تودة ، ولكن الحزب كان فى طهران يباشر نشاطه وكفاحه كان لم يحدث شيء

كان نادى تودة فى شارع الفردوسى يغص بالناس

وكانت جرائد توده الثلاث فى كل الايدى : بسيوى آينده - اى نحو المستقبل - كل صباح ، ومصلحت - اى المصلحة - كل مساء ، وراجبار - اى السيل - كل اسبوع

وكانت نقابات العمال - اتحادى اصناف - تعمل كلها تحت امرة توده وتتلقى منه الاشارة والتوجيه

ونظم تودة مرة مؤتمرا عاما دوليا للعمال - وعقد المؤتمر تحت رئاسة زعيم العمال الفرنسى - وحضره ممثلون من نقابات العمال الاوربية ، وخطب فيه مصطفى العتريس رئيس نقابات العمال فى لبنان ، وحضره أكثر من خمسين الف متحمس من طهران !

ثم جاءت محاولة الاعتداء على جلالة الشاه فى جامعة طهران .. حيث بدات حركة تودة ، وكان المعتدى مير فخرائى ، قد تنكر فى زى مصور صحفى وأعدمسدسه تحت آلة التصوير ثم أطلق الرصاص على الشاه - وكان مير فخرائى عضوا فى حزب توده

وانهال حراس الشاه على الشاب فافرغوا فيه جميعا رصاص مسدساتهم ، وانقضت الحكومة على حزب تودة تنكل به وتمحو وجوده من ايران !

صدر امر بحل حزب تودة ، وامر آخر باغلاق جميع صحفه ، وجميع نواديه ، وفر من زعماء الحزب من استطاع الفرار ،

وقبض على الذين لم تسعفهم الظروف بوسيلة يغادرون بها طهران ، وكان بين الذين فروا منزعماء حزب تودة ، الدكتور كيتسا فارس الاستاذ في جامعة طهران وهو وزير سابق للمعارف ، والسيد ايراج اسكندرى وكانذات مرةوزيرا للتجارة

وبين الذين قبض عليهم الدكتور محمد يازدى استاذ الطب فيجامعة طهران وكان فيمامضى وزيرا للصحة والدكتور جودت استاذ الفنون الجميلة فى جامعة طهران !

إقرأ

آخر لحظة

يوم الجمعة

من كل أسبوع

الفصل السادس

« نحن الذين نصنع الفساد ،
والفساد هو الذى يقتلنــا ! »
انتونى ايدن

الغــائب القوي ـ الولايات المتحدة بائســة ـ
القــوى الغامضــة التى تصــنع الرجال ـ
لحســاب حزب تودة يعملون ـ روشفى ـ
الخبراء يطردون ـ مادام البوليس يخــاف ـ
النصر فى الصين ـ تعهدات من طلبــة الجامعة ـ
الشــاعر الأحمر ـ حسين علاء يؤلف الوزارة ـ
طهــران تحت الحــكم العســكري . . !

١ - كلهم يعملون لتودة دون أن يشعروا

انتهى الوجود الرسمي اذن لحزب تودة بعد قرار حله،ومصادرة صحفه ، واغلاق نواديه ، ولـكن وجوده الفعلي كان اقـوى من ان تصادره القوانين والاوامر ، وكل الذى حدث ان الحزب نقـل مجال عمله الى الخفـاء ، واتجــه بكل همة ونشاط ليستفيد من كل الظروف .

وكما قال لي امريكى مسئول فى طهران :

« العجيبان الحزب الوحيد الذى ليس له وجود شرعى وقانونى فى ايران ، هو الحزب الوحيد الذى له وجود فعلي وحقيقي فى كل ارجائها »

واذكر انني قلت لهذا الامريكى المسئول :

ـ ولكن أما تصنعون شـيئا لمواجهة الموقف ، لقد كنت وانا فى القاهرة اتصور ان ايران تسبح فى بحر من الدولارات الامريكيـة ، وتضـيق بانواع من المسـاعدة الامريكيـة ، وتعـج بالعتـاد والاسلحة الامريكية ، ولقدذهلت لما جئت الى طهران لاكتشف ان المعونة التى حصلت عليها ايران منكم هى نصف مليون دولار فقط ، لا اكثر ولا اقل

وهز الامريكى المسئول راسه فى اسى وقال :

ـ يظهر اننا جئنا بعد فوات الاوان

ثم مضى فى حيرة :

ـ اننا هنا نعيش فى الغاز ولا نعرف رجلا واحـدا نستطيع أن نتحدث معه ، ويبدو ان الرجال هنا يعتمدون على ظروف غامضة ترفعهم فجاة ثم تهوى بهم بنفس السرعة التى ارتفعوا بها ، وليس

هنا احزاب نستطيع أن نتعــاون معها ، ولما جئنا الى هنا لم نجد ــ كما ترى ــ الا حزبا واحدا منظما قويا هو حزب تودة ، ولقدحلت الحكومة هذاالحزب والغت وجوده رسميا،ولكن ــ وكما ترى ايضا ــ كل شيء هنا يساعد حزب تودة، ويمنحه قوة فوق قوته ، ويعطيه حجة جـديدة على صواب ما يذهب اليه .

ورفع الامريكي المســئول يده الى السماء يائسا وقال :

ــ كل ما في طهران مع الاسف يساعد حزب تودة ، بل ــ اقولها في صراحة ــ يعمل لحساب حزب تودة !

وكان الامر الواقع في شوارع طهران يؤيد ــ الى أقصى الحدود ــ هذا الذي يقوله الامريكي المسئول .

لحساب حزب تودة مثلا ،شباب ايران الذي لا يجـد زعمـاء يتصلون به ، ولا تشكيلات تضم شتاته ، ولا منظمات تجمع نشاطه، الا زعماء وتشكيلات ومنظمات تودة !

ولحسابه ايضا ــ شباب موظفي الحــكومة ــ وهم في ايران قرابة مائة الف ــ يعيشــون في ظروف غلاء مرير ، وتتأخر مرتبــاتهم بالشهرين وبالثلاثة ولا يهتم بهم احد ولحسابه كل هؤلاء الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون شيئا والذين ما زالوا عبيدا يباعون مع الارض التى يعيشون عليها عندما يشاء الاقطــاعيون من أفراد العشرين أسرة التى تملك معظم اراضي ايران، ولحسابه ما تقوله الاحصائيات من أن ٨٠ في المائة من سكان ايران لا يجدون مقومات القوت الضروري لاستمرار حياتهم !

والفســـاد المتفشي في كل ناحية . . .

في مجلس النواب نفسه حيث يســير النواب وراء الاغراض الشخصية ، فمنهم من يعيشون على حساب ساسة يوجهونهم ، ومنهم من يتقاضون مرتبات من بعض الوزراء ، يوجــد نواب لا

يتركون مشروعا يمر الا اذا كان لهم منه فائدة شخصية مباشرة ، ونواب لا يؤيدون الوزارات الا اذا كانوا هم أنفسهم بين الوزراء !

وفى الادارة الحكومية حيث اصبحت كلمة روشفى - اي الرشوة - أوسع الكلمات انتشارا واستعمالا ، وحيث أصبح من القواعد المقررة أن كل موظف كبير لا ينجز شيئا الا اذا فتح المستفيد منه درج الموظف الكبير واسقط فيه بضع ورقات من ذات المائة تومان ، وحيث يوجد اقبال على وظائف الحكومة التى لا تدفع مرتبات موظفيها ، وحيث لا يشكو الا صغار الموظفين الذين لا يملكون من السلطان ما يجعل لذممهم سعرا ملائما فى سوق الذمم والضمائر

وفى حاشية الشاه حيث يوجد بين أفرادها من لا ينظر الا لمصلحته الخاصة ، ومن لا يهمه أن يزج باسم الشاه فى كل مناسبة وبغير مناسبة ، ومن يستغل نفوذه ، بل ومن يرتشى علنا ، وعلى الشاه المسكين ان يدفع الثمن من سمعته وشعبيته وحب رعاياه له

هذا الفساد المتفشى فى كل ناحية .. لحساب من هو ان لم يكن لحساب تودة ؟

ولحساب تودة انه ليس لايران سياسة ثابتة فى اي ناحية من نواحى الانتاج ، وقد قال لى رئيس وزارة سابق فى طهران :

- خذ مثلا البترول ، ان ايران من اكبر الدول المنتجة للبترول فى العالم ، وكان يجب أن يكون البترول متوافرا لسكانها بسعر معقول يوازى على الاقل سعره فى باقى بلاد العالم ، ومع ذلك فان صفيحة البنزين التى تباع فى الدنيا كلها بما يقرب من خمسة تومانات - اى حوالى الستين قرشا فى مصر - تباع فى ايران المنتجة للبترول بمبلغ عشرة تومانات - اى ضعف سعرها فى البلاد الاخرى التى ليست بين منتجى البترول !

ومضى رئيس الوزراء السابق يقول :

ــ وليست شركة البترول هي المسئولة عن ذلك ــ ولكن منصفين

ــ فان الشركة تسلم البنزين للحكومة الايرانية بسعر تومان واحد للصفيحة ، أما الفرق ــ وهو تسعة تومانات فان الحكومة تأخذه لنفسها ضريبة عن الصفيحة الواحدة ! !

وغير البترول باقي مرافق الانتاج

وحدث مثلا ان قررت ايران مشروعا لسبع سنوات تتضاعف بعده وسائل الانتاج ، ثم حدث ، والمشروع يمر من امام المجلس ، ان لعبت المطامع الشخصية دورها فاذا المبلغ المقترح يقسم قسمين ، قسما يوضع تحت تصرف النواب ليصرف في دائرة كل نائب بحسب ما يرى ويختار ، وقسما ينفذ به مشروع السنوات السبع نفسه .

ورأى الخبراء الاجانب الذين انتدبوا للاشراف على المشروع ان وحدته قد تمزقت ، واكثر من هذا رأوا أن لا احد يستشيرهم فيما أتوا من أجله ، ثم فوجئوا يوما بقرار يقضي بالاستغناء عنهم جميعا مرة واحدة وبلا سابق انذار

واخيرا لحساب تودة كل هذا الشك الذى تأصل في نفوس الناس ضد كل ساسة ايران

اصبح كل الساسة مرتزقة ، ومرتشين ، وخونة عند اللزوم !

وليس في طهران سياسي واحد لا تسمع عنه الاعاجيب ، حتى اعضاء الكتلة الوطنية التى تنادي بالتأميم والتى يتولى زعيمها الدكتور محمد مصدق رئاسة الوزارة الآن . . .

ولقد كنت أتحدث مع احد الشبان الايرانيين اللامعين عن الدكتور مصدق نفسه وقلب الشاب الايراني الامع شفتيه امتعاضا وهو يقول :

ــ خذ مثلا . . هذا الدكتور مصدق نفسه ، انه وصولي

لا تهمه الا مصلحته الشخصية ..

انه مليونير ،وعدو لدود للشيوعية ، ومع ذلك يؤجر بيتهلاحدى المؤسسات الشيوعية بخمسة آلاف تومان فى الشهر !

وكان عدوا لزوم آراه بينما كان ابنهمهندس مصدق وكيلالوزارة المواصلات، وقد حدث حينما عرض عليهالسيدحسين علاءان يدخل معه الوزارة ان اعتذر ، ولكنه لم ينس ان يرشح ابنه مهندس مصدق الذى دخل مع حسين علاء وزيرا للمواصلات !

بل ان حدود الشك والريب جاوزت الاشخاص فى طهران الى القضايا العامة نفسها ، وفى احرج اللحظات التى مرت بازمة تأميم البترول لم يكن لدى المارة فى الشوارع ، المارة العاديين ، من تعليق على مسالة التأميم الا كلمة

« ميجن نفت ملى شود »

اي يقولون ان البترول سيؤمم، وكلمة « يقولون » مليئة بمعانى الشك والريبة ! !

٢ – المارشال الاحمر فى الكرملين

وجاءت الحوادث الاخيرة لتكون قوة دافعة لتودة !

فان حملة الارهاب التىشنتهافدائيان اسلام ! وجرأتها وعجز البوليس أمامهـا كانت نموذجا استفاد منه حزب توده الى أقصى الحدود

وفى تلك الايام العشرة الخطيرة التىكانت ايران فيها بلاوزارة نظم حزب تودة أكثر من سبع مظاهرات فى ميدان بهارستان – اىارض الربيع – ووقفخطباء حزب تودة امام الميكروفونات

يهدرون ويصرخون . . بينما تذيع محطة طهران بيان حكمدار بوليس طهران بمنع المظاهرات و تكرر اذاعته مرة كل ربع ساعة !

وفى هذه الايام العشرة ايضا بدا النور الاحمر فوق طهران يزداد سطوعا

فصحف تــــوده التى كانت تتستر تحت اسماء مختلفــة ، خرجت صريحة سافرة ، تطلب ان يعود الى الحزب كيانه القانونى

وخرجت هذه الصحف أيضــا تحمل قصائد لشاعر ايران الكبير محمد تقى بهار ، كلها فى ألفاظ مستعرة حمراء ، ومحمــد تقى بهار الذى يلقبونه بملك الشعراء فى ايران ــ والذى كان ذات مرة وزيرا للمعارف ــ من غلاة المتحمسين للشيوعية !

واضطرت ادارة جامعة طهران ان تستكتب تلاميذها اقرارات بأنهم ليســوا من أنصار اليسار، ولا من أعضــــاء حــــزب تــوده وبرغم هذه الاقرارات فقد كان من الواضح ان ٩٠ فى المائة من طلبة جامعة طهران .. بل ومن اساتذتها ايضا من انصار حزب تودة

وكانت سلطات الأمن فى طهران قد منعت عرض فيلم اسمه « النصر فى الصين » فى دور السينما فى طهران ، وهو فيلم روسى يصــور كفــاح الزعيم الصينى الشيوعى «ماوتسى تونج» ولكن الفيلم عرض برغم انف سلطات الأمن فى طهران فقــد اقدمت « جمعية السلام » وهى تهــدف ــ كمـــا تقــول ــ الى تقوية الروابط الفكرية بين ايران وبين الاتحاد السوفيتى ــ على عرض فيلم النصر فى الصين فى قاعة العرض الخاصة بدارها واعلنت انهــا تبيح مشاهدة الفيــلم لمن يريد ، ولم تستطع سلطات الأمن ان تتدخل لمنع عرض الفيــلم ، ولا استطاعت ان تتدخل ايضا لمنع الآلاف من شباب طهران ــ فى تلك الايام

العشرة العصيبة ـ من التدفق الى قاعة العرض !

ثم تلقى الامن ضربة قوية جديدة فقد قتل الدكتور عبد الحميد زنجانه عميد كلية الحقوق فى فناء الجامعة ، وكان قاتله طالبا منعه الدكتور زنجانة من دخول كلية الحقوق، ولم يقل القاتل فى تبرير جريمته شيئا أكثر من وصفه للدكتور زنجانة بانه كان كلبا خائنا !

وكانت الطامة الكبرى بعد ذلك بيانا اصدرته فدائيان اسلام تنصح فيه شبان ايران أن لا يقدموا على القتل لاسباب شخصية حتى لا يكون فى هذا تشويه لجلال القتل فى سبيل الاهداف العامة

وهكذا ـ فى نهاية تلك الايام العشرة الخطيرة التى عاشتها ايران بلا وزارة ـ كان كل المراقبين المحايدين فى عاصمة ايران ـ سواء من مراسلى صحف العالم المكدسين فى فندق ريتز فى طهران ـ أو من الديبلوماسيين الاجانب الذين يملاون مكاتب دور السفارات والمفوضيات فيها ، يرددون عبارة واحدة:

ـ لو سارت الامور على هذا النحو فان ستالين مارشال الكرملين الاحمر ، لن يكون فى حاجة الى ان يرسل جحافل جيوشه عبر القوقاز لتحتل ايران

« سوف تصبح ايران دولة حمراء دون تدخل جيش ستالين الاحمر ! »

٣ ـ حسين علاء يؤلف الوزارة

وهكذا بعد عشرة ايام بلا وزارة انتقلت السيطرة على الموقف من اليمين المتطرف الى اليسار المتطرف !

وكان هذا التطور الخطير واضحا كل الوضوح فى طهران ، وهناك حقيقة لا شك فيها هى ان وزارة السيد حسين علاء لم تتألف الا تحت ضغط الاحساس بالخطر الجديد ، وامام شعور اليمين بأن الموقف يكاد يفلت من يده ويلقى بزمام الحوادث بين اصابع اليسار !

ولم يكن المفروض ان يؤلف حسين علاء الوزارة الايرانية الجديدة ، وانما كان الاتجاه العام كله يرشح للمسئولية الخطيرة أحد رجلين

اولهما السيد أحمد قوام السلطنة

والثانى السيد ضياء الدين الطباطبائى

وكان الاجماع منعقدا على ان الموقف ليس له الا واحد منهما وكان لكل منهما سجل حافل :

فأحمد قوام السلطنة ثعلب يران كما يسمونه ـ هو الرجل الذى استطاع ان يضحك على ستالين او هكذا يقولون عنه فى ايران

لقد سافر الى موسكو سنة ١٩٤٧ وطلب من ستالين ان يتخلى عن حكومة جعفر بيشفارى الشيوعية فى الشمال مقابل وعد منه بأن يحمل مجلس النواب الايرانى على ان يمنح روسيا امتيازا لاستغلال بترول الشمال

ووقع ستالين فى براثن الثعلب ـ هكذا يقول انصار قوام السلطنة ـ فتخلى عن حكومة جعفر بيشفارى فى الوقت الذى كان قوام السلطنة فيه مؤمنا كل الايمان بأن مجلس النواب الايرانى لن يوافق على الامتياز المقترح لروسيا !

وقوام السلطنة ايضا سليل أسرة من اكبر أسر ايران ، وواحد من كبار الملاك فيها ، وخبير ممتاز بأسرار السياسة

الايرانية ، وأكثر من هذا ، سياسى ماهر بارع فى شراء ذمم اكبر مجموعة من اعضاء المجلس !

ولكن الشاه كان معترضا على اسم قوام السلطنة برغم انه تولى رئاسة الوزارة ١٢ مرة !

ووجهة نظر الشاه ، تلخص فى أن قوام السلطنة بعد أن عقد اتفاق موسكو ، وبعد ان خلص ولاية أذربيجان الايرانيــة من براثن الروس بوســائله الدبلوماسية أصيب بنوبة من الغرور لا شفاء لــه منها .

كان يعتقد انه أعرق من الشاه حسبا ونسبا ، وانه اقوى منه نفوذا ، وان الامر يجب ان يكون امره والكلمة كلمته

ولم يطق الشاه أن يرى ملكا آخر فى طهران فعزل قوام السلطنة من رئاسة الوزارة ، وخرج قوام السلطنة من قصر جولستان — رئاسة الوزارة الايرانية — ليبدا مؤامراته ضد قصر المرمر — مقر الشاه — وأحس الشــاه بمؤامــراته فقــــرر أن يقبـــض عليه ، ولكن بعض أصدقاء الشاه ، وبعض كبــار الانجليز ، تدخلوا فى الأمر فأصر الشاه على أن يخــرج قوام الســلطنة من ايران ، فخــرج وســـافر الى باريس ، وبدأت صحف ايــران تنشر له خطابات مفتوحة موجهة الى جلالة الشاه ، يتهمه فيها بانه يعتدى على الدستور !

وبلغ من ضيق الشاه بتصرفات قوام السلطنة أن أمر بنــزع اسمه من شــارع كان قد أطلق عليه بعد خديعتــه المشــــهورة لستالين ، وأراد الشاه أن يمعن فى نكايته فأمر أن يطلق على الشارع اسم « خيابان — ستالين » اى شارع ستالين !!

وللسيد ضياء الدين الطباطبائى — المرشح الثانى — قصــة

فريدة في ساسة الشرق .. فقد سبق ان تولى الوزارة حين كان عمره ٢٧ سنة !!

ولقد بدأ السيد ضياء الدين حياته صحفيا وعمره ١٧ سنة ، فانشأ جريدة اسماها « رعد » وبدأ يدعو الى الجمهورية فى ايران ، ويهاجم اسرة كاجار المالكة .

وقوى نفوذ السيد ضياء الدين وواتته الفرص فأصبح وزيرا فى سن السادسة والعشرين ثم رئيسا للوزارة فى سن السابعة والعشرين ، ثم قرر ان يقوم بانقلاب لخلع الاسرة المالكة ـ اسرة كاجار وقتها ـ وكان لابد له ان يستعين فى اتمام الانقلاب بالجنرال رضا بهلوى رئيس هيئة اركان حرب الجيش وقتها

وكان للجنرال رضا بهلوى خطة اخرى يسرها فى نفسه ، ومهما يكن فقد اتفقت اهدافه فى تلك الفترة مع اهداف السيد ضياء الدين فتركه يتخذ كل الاجراءات لخلع اسرة كاجار ، واتم ضياء الدين مهمته ، فاذا بالجنرال رضا بهلوى يتحرك للعمل ويحرم رئيس الوزراء الشاب من ثمن النصر فيقبض عليه وينفيه الى خارج ايران وينصب نفسه ملكا لايران ويعلن قيام اسرة بهلوى !

وعاش السيد ضياء الدين فى المنفى يجتر الحسرة والندم ، واستقر فى فلسطين حيث انشأ مزرعة نموذجية ظل يتعهدها ويعمل فيها حتى نزل الشاه رضا بهلوى عن العرش فعاد الى وطنه يحاول ان يلعب دورا سياسيا جديدا على راس حزب جديد الفه واطلق عليه اسم « حزب اراد ملى » اى حزب « ارادة الامة » !

ثم لم يطق السيد ضياء الدين مرارة الكفاح فاعتزل واعتكف فى قرية « سعادت آباد » على بعد ثمانية كيلومترات من طهران

حيث انشأ مستعمرة نموذجية

وابرز ميزات السيد ضياء الدين، ان آية الله كاشانى كان يؤيده مرشحا لتأليف الوزارة ، ولكن الشاه - كان يخشاه ويهابه - كقوام السلطنة - ويعتقد ان آراءه الجمهورية تسرى فى دمه ، وان تحويل ايران الى جمهورية مازال يراود احلامه

وطال تردد الشاه ...

واشتد ضغط اليسار !

ثم انتهى الامر الى تكليف السيد حسين علاء بتشكيل الوزارة ، وقبل مجلس النواب اسمه كمرشح للرئاسة

ونسى المجلس كل اعتراضاته السابقة على حسين علاء

نسى حياته التى عاشها كلها ، طالبا ومحاميا فى انجلترا ، ودبلوماسيا خارج ايران

ونسى قرحة معدته التى تجعله يؤثر الراحة والسلام على مؤامرات طهران ودسائسها ، وعلى مصائب قصر جولستان ، والنكبات التى يلحقها بنزلائه من رؤساء الوزارات

ونسى انه لا يتقن اللغة الايرانية خطابة ، بل وكلاما ، فى ظروف تفرض على رئيس الوزراء ان لا يكف عن الخطابة والكلام ليلا او نهارا ...

نسى المجلس هذا كله ...

ولم يذكر الا الخطر الزاحف .. الخطر الاحمر ، والذى كانت اول خطوة فى سبيل مواجهته ،ان تكون لايران وزارة مسئولة تواجه الموقف ! !

وهكذا دخل حسين علاء الى قصر جولستان !

٤ ـ علاء في وجه العواصف

ولم تكن مهمة السيد حسين علاء ـ أو « آلا » كما يسميه الايرانيون ـ سهلة هينة ، ولا كان طريقه مفروشا بالورد والحرير !

قضى رئيس الوزراء اياما طويلة يدور على السياسيين والنواب ويتوسل لكل منهم أن يعاونه ويدخل وزيرا في وزارته ، ولكن معظم الذين كانوا يصلحون للعمل ـ في رأي علاء ـ كان لهم رأي آخر !

كانوا يعتقدون ان وزارة حسين علاء مؤقتة ولن تدوم ، وان عمرها لن يطول اكثر من المدة التي يحزم الشاه فيها امره فيكلف احد الرجلين القويين ـ قوام السلطنة ـ او الطباطبائي ـ بتأليف الوزارة ، ولم يكن هناك من يرغب في ان يكون مجرد جسر يقام ليعبر عليه الآخرون

هذا فضلا عن دقة الظروف نفسها مما لا قبل لأي وزارة بمواجهته مهما بلغت قوتها !

وازداد الموقف صعوبة لما أصدر نواب صفاوي رئيس « فدائيان اسلام » بيانا ـ او امرا على الاصح ـ جاء فيه :

حسين علاء

ان قيادة الامة الاسلامية الايرانية لا يمكن ان توكل اليك او الى رجال من امثالك ـ استقل فورا

بمعونة العلي القدير !

نواب صفاوي

وكانت الترجمة الوحيدة لهذا البيان في رأي عدد كبير من السياسيين ان فدائيان اسلام قررت أن تقتل حسين علاء

وكل من يتصدى لمعاونته !

وانطلقت جيوش الشاعات تؤكد هذه الترجمة كل دقيقة

وفى الايام الثلاثة التى كان حسين علاء فيها يحاول جاهدا ان يشكل وزارته كانت طهران تسمع نبأ اغتياله بمعدل مائة مرة فى اليوم الواحد !

اما العقبة التالية لهذا – فى وجه حسين علاء – فهى مشكلة المرتبات المتأخرة لموظفى الحكومة ، وكان لبعضهم فى ذمة الدولة مرتبات شهرين ولبعضهم الآخر مرتبات ثلاثة شهور ، وكانت الكارثة ان هذه المرتبات متأخرة للموظفين فى الوقت الذى اقترب فيه عيد النيروز ، وهو العيد الوطنى الشعبى الكبير فى ايران

واستدعى السيد حسين علاء وكيل وزارة المالية لمباحثته فى الاشكال وقال وكيل المالية لرئيس الوزراء الجديد الذى لم يجد وزراءه بعد : ان المبلغ المطلوب دفعه للموظفين هو ٦٠ مليون تومان ، اى ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات ، بينما خزانة الحكومة ليس فيها الا عشرة ملايين تومان اى سدس المبلغ المطلوب !

وذهب السيد حسين علاء الى مجلس النواب يقول لاعضائه :

– انا فى موقف غريب ، فانا مكلف بان أؤلف وزارة تحكم البلاد بوساطة موظفين لم يقبضوا مرتباتهم وهذا وضع عجيب . .

وذهب السيد حسين علاء الى قصر المرمر ليقول لجلالة الشاه :

– انى لا ابصر طريقى وسط هذا الظلام ، وانا اريد ان تنتهى الازمة ولكنى لا اجد وزراء يتعاونون معى !

وتدخل الشاه بنفوذه ليسهل مهمة حسين علاء فى ايجاد وزراء ثم هدد حسين علاء بانه سيترك الموقف اذا لم يساعده اليمين على اعادة الهدوء والامن الى ايران ، وكان الشبح الاحمر

ما زال رابضا فوق جبال شمران يرقب طهـران من بعيد ، وامام الشبح الاحمر ترك اليمين الازمة تمر ، وهكذا تلقى حسـين علاء وعدا من آية الله كاشـانى ، ومن الدكتور محمد مصدق بأن لا يضعا العراقيل فى طريقه ..

وتألفت وزارة حسين علاء !

٥ ـ الاسطول البريطانى أمام خوزستان

وكان من راى السيد حسين علاء ومن راى كل زملائه انه من المستحيل مواجهة الموقف دون اتخاذ اجراءات استثنائية حازمة تمنع اغول الاحمر من ان ينشب اظفاره

وفجاة صـدر قرار بانتداب الجنرال حجـازى نائب رئيس هيئـــة اركان حرب الجيش الايرانى مديرا لبـوليس طهران مع قيـامه بعمله فى هيئة أركان الحرب .

وفجاة ــ للمرة الثانية فى نفس اليـوم ــ وقفت محطة اذاعـة طهران برامجهـا العادية ، وقال المذيع فى صوت مختلج بالشعور باهمية مايقول :

« جاءنا بيان هام من الجنرال حجازى نائب رئيس هيئة اركان حرب الجيش الايرانى وحكمدار بوليس طهران بالانتداب »

ووقفت طهران كلهـا بجانب اجهزة الراديو تسمع المذيع يتلو بنفس الصـــوت المختلج شعورا بالاهميـــــة البــلاغ الرسمى التالى نصه :

« بناء على قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٩ اسفند ١٣٢٩ وبعد الرجوع الى الامر رقـم ١٤٥٠٤ لوزارة الحرب قد أعلنت الاحكام العسكرية فى طهران ومنطقتها لمدة شهرين

تبـدا من الساعة الرابعة عشرةوالنصف بعد ظهر اليوم .

ويقضى قرار مجلس الوزرابتعيينى فى نفس اللحظـة حاكما عسكريا لطهران ومنطقتها . .

وبمقتضى السلطات المخولة لى، قد قررت اعلان حالة الطوارىء فى طهران ومنطقتها وانى اطلب الى اهـالى طهران ــ مراعاة للصالح العام ــ ان يبذلوا كل جهدهـم فى طاعة القوانين والاوامر والتعاون بكل السـبل مع الحكومة العسكرية لصون الامن العام . .

الجنرال حجـازى
الحاكم العسكرى لطهران ومنطقتها

وكان هـذا الاتجاه متوقعا فى طهـران لـدى المتتبعين لسـير الحـوادث ، وكان الشيوعيون قد استعدوا له !

وكانت خطوة الشـيوعيين الجديدة مفاجاة لليمين، وللوزارة وللحـاكم العسكرى العام ، لقداتضح ان هدفهم لم يكن طهران نفسـهـا ، وانما كان الى اقصى الجنوب منهـا ، فى عبدان مركز البترول الحساس !

وفجـاة امتلات شوارع طهران باعـلانات ومنشورات تخبر اهالى طهران بتكوين هيئة جديدة باسم « جبهة المكافحـين ضـد شركة البترول الانجليزية الايرانية »

ثم امتـلات شوارع طهران باعلانات ومنشورات اخرى تذيع ان الجبهة الجديدة قررت النزول الى الميـدان فى عبـدان وتدعو المكافحين المؤمنـين الى الالتحاق بهـا والى الركوب فى قوافل اللوريات الخاصة التى سيسافر بها الاعضـاء الى عبدان للجهاد

وقبـل ان يستطيع الحاكم العسـكرى لطهران ان يتدخل ، كانت قوافل اللوريات تغـادر طهران وغيرها من المدن ، متجهة

جميعـــا الى الجنوب .. الى عبدان . .

ولم تكن الهيئـة الجديدة الاقناعا جـديدا لحزب تودة ، وفى الوقت الذى غادرت طهران فيه مئات اللوريات متجهة الى عبدان، كان حزب تودة قد اعطى اشارة العمـل الى مراكزه فى مناطق البترول نفسها .

وبدات الاضرابات فى مناطـق الآبار ، ولاح بجـلاء ووضوح ان نقطة الحساسية لم تعد طهران وانما هى عبدان .

وبدات الاحـــداث تجرى بسرعة ..

آبار الزيت فى خطر مباشر ،والحكومة البريطانية تحتج وتطلب الحماية لمصالح الشركة وموظفيها ومهندسيها ، واليمين المتطرف الذى صنـــع الأزمة وجد أن قيـــادها قد أفلت من يده ، والوزارة التى اســـتجمعت شجاعتها واعلنت الاحكام العرفية فى طهران ، فوجئت بأن الخطر قد ترك لهـــا طهران وزحف الى الجنوب ! . .

وفوجىء السيـد حسين علاء بأنبـــاء تقول ان بعض قطع الاسطـول البريطانى قد دخلت ميناء عبـــدان ، وروت بعض المصادر ان المدمرة «جامبيا» بالذات ومعها مجمـــوعة من كاسحات الالغـــام هى التى دخلت ميناء عبدان بينمـــا الخليج الفارسى خارج عبدان يعج بقطع الاسطول البريطانى المحتشدة

وقرر السيـد حسين علاء استدعاء السفير البريطانى ليشرح له خطـورة الموقف ، ولقد روى لى أحـــد الوزراء فى وزارة علاء تفصـيلات مقابلته مع السـير فرانسيس شـــبرد السفير البريطانى قائلا :

« ان رئيس الوزراء أوضـح للسفير البريطانى مدى الخطـر الذى ينجـــم عن وجود قطع الاسطول البريطانى فى عبدان أو

على مقربة منها ، وقال له ايضا :

« انى لا استطيع ان امنع الجيش الروسى من اقتحام حدود ايران الشمالية اذا نزل بحار انجليزى واحد الى البر فى عبدان ، ذلك لان المعاهدة الايرانية ـ الروسية تنص على ان من حق الجيش الروسى ان يدخل الحدود الايرانية ، اذا نزلت على ارض ايران قوات اجنبية اخرى بقصد احتلالها او بقصد اتخاذها معبرا لها الى جهات اخرى »

وقال لى الوزير الايرانى : ان السفير البريطانى قال للسيد حسين علاء انه يقدر موقفه ، وانه تصرف من تلقاء نفسه حالما سمع باقتراب الاسطول من عبدان فاتصل بالسلطات البحرية البريطانية لتأمر قطع اسطولها بان تبتعد عن عبدان

وقال السفير البريطانى :

ـ وقبل ان اجىء اليك الآن تلقيت من الاميرالية ان قطع الاسطول ابتعدت بالفعل عن عبدان وانها القت مراسيها فى البحرين . .

ثم ختم السفير حديثه فى مقابلته لرئيس وزراء ايران بقوله :

ـ ان الحكومة البريطانية ترى ان الموقف فى الجنوب يزداد خطورة وتطالب بارسال قوات كافية من وحدات الجيش للسيطرة على الموقف . .



رزم آراه الرجل القوى
يتحول جثة هامـدة



أرملة ذلك الذي
كان رئيسا للوزراء



أكثرهم اطمئنانا نعش
رزم آراه المحمول على الأعناق



والد رزم آراه ..
نصحه بالابتعاد عن السياسة



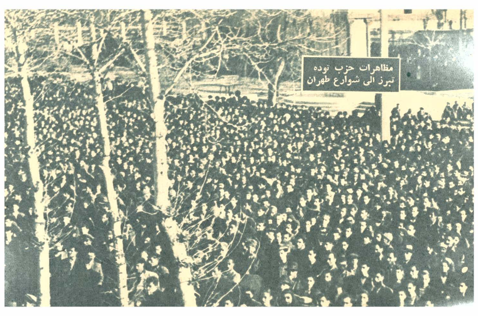
الدكتور محمد مصدق
أيام كان زعيما للمعارضة ..



« مكى » من نواب
الكتلة الوطنية يهاجم



الدكتور زنجانة عميد الحقوق
القتل لأسباب خاصة



مظاهرات حزب توده
تبرز الى شوارع طهران



أحمد قوام السلطنة ...
تعلب يخشاه الشاه



ضياء الدين طباطبائى ...
جمهورى يخشاه الشاه



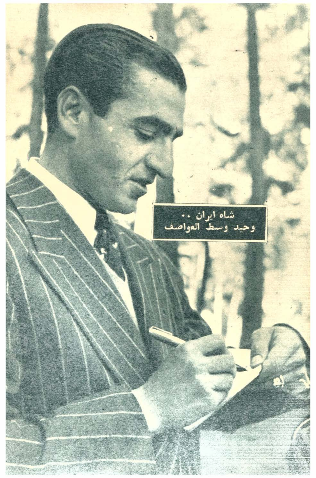
وزارة علاء ..
تحت ضغط الخطر الاحمر



الجنرال حجازى ..
الحاكم العسكرى فى طهران ومنطقتها



الكابتن نادرى قومسيير
على الحدود الايرانية



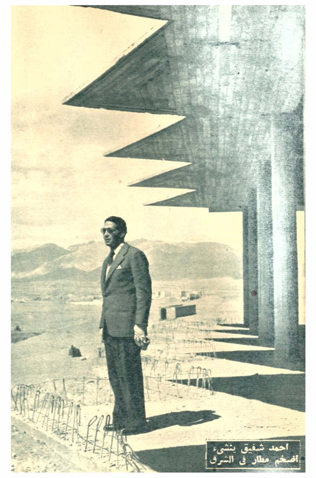
شاه ايران ..
وحيد وسط العواصف



الامبراطورة ثريا ...
وجمال وهدوء فى طهران !



الأميرة أشرف ..
عاشقة نابليون



احمد شفيق ينشىء
اضخم مطار فى الشرق



الفصل السابع

أيها الربان
انها ليلة مخيفة هائلة
ان الموت يتربص بنا
والخطر يصفق باجنحته السود حول شراعنا الممزق
والاعصار العاتى يزار ويهدر
أقسم أن لايهدأ الا اذا قذف بنا الى الهلاك
والبرق والرعد والمطر والعاصفة والغيوم القاتمة
أيها الربان .. أيها الربان
ماهو المجهول الذى يكمن لنا فى الاعماق
حيث الظلام الرهيب !

« بايلى »

جنوبا وراء الخطر — كرة فى اقدام عمالقة — حكومة جعفر بيشفارى — قوام السلطنة مع ستالين — بيشفارى يختفى — السفير الامريكى يتكلم — الجو يتوتر فى الشمال — دفعا للأذى وايثارا للعافية — ممنوع البحث فى الشمال — معارك فى كباريهات طهران — تبريز منشور دعاية لروس — الامريكان فى طهران !

١ – جمهورية تباع فى سوق الآمال !

وكان على اليمين ان يتصرف

على اليمين الذى اثار العاصفة، واطلق الوحش من عقاله – كما كانوا يقولون فى طهران – أن يجد له وسيلة لتهدئة الحالة ، واعادة الغول الى قفصه الحديدى ،وكانت تصرفات اليمين الجديدة تتناقض مع تصرفاته السابقة ولكن الخطر كان – فى تقديره – لا يحتمل انصاف الحلول

وبدأ الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية يذيع البيانات المتوالية،طالبا من العمال المضربين فى الجنوب أن يعودوا الى العمل .

وبدأ آية الله كاشانى الزعيم الدينى الكبير يناشد اتباعه ان يحافظوا على الامن والنظام .

وبدأ نواب الكتلة الوطنية ومن ورائهم نواب المعارضة ، يطالبون باتخاذ اجراءات حازمة ،وهكذا أعلنت الحكومة – بموافقة البرلمان – الاحكام العسكرية فى المنطقة الجنوبية التى انتقل اليها الخطر . .

ثم أعلنت الحكومة زوال الحكم العسكرى عن طهران ومنطقتها بعد أن زال عنها الخطر،وتعهدت الجبهة الوطنية وتعهد آية الله بما معناه انطهران عهدة فى ايديهم لحساب السيد حسين علاء وانهم يصونون الامن والنظام فيها بكل الوسائل الممكنة !

ولكن ايران كلها كانت قد اصبحت كتلة خطر ، فان اللعبة التى كانت طهران مسرحا لها ، لم تعد مجرد حركة محلية،وانما امتد نطاقها فشمل ايران كلها،التى لم تلبث انتحولت الى العوبة

تائهة فى أيدى عمالقة كبار ، وقال لى احد وزراء السيد حسين علاء فى هذه الفترة :

ــ مسكين هذا الرجل ــ يقصد حسين علاء ــ كانما لا تكفيه مصائبه هنا ، حتى تتنمر له القوى الخارجية ، ماذا يفعل بين الانجليز والروس والامريكان ، ان عيونهم جميعا ترقب كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته !

والحق أن عيون هؤلاء جميعا ــ الانجليز والروس والامريكان ــ لم تكن مفتوحة على حسين علاء وحده وانما كانت مفتوحة على ايران كلها ، والحق ايضا أن عيون هؤلاء جميعا ما غفلت ابدا عن ايران ولا كفت عن التحديق فيها ، والحق اخيرا ان الصراع بين هذه الدول الثلاث ــ التى تهتم بايران كما لا تهتم بشىء آخر ــ لم يبلغ فى اى مكان على الارض ما بلغه فى ايران من عنف وخطورة تنذر بالشرر !

وكانت تلك مأساة ايران الكبرى لا فى هذه الاسابيع وحدها ، وانما منذ سنوات طويلة بعيدة !

واهتمام الانجليز بايران ــ مثلا ــ هو نفسه قصة شركة البترول الانجليزية

ولقد كانت شركة البترول هى كل شىء فى ايران ، كانت تعين الوزراء وتقيل الوزارات وتسبغ عضوية مجلس النواب على من تشاء وتنزع رداءها ــ ذا النفوذ القوى ــ عمن تشاء . وكانت تملك الكلمة العليا على رؤساء القبائل القوية ، خصوصا قبائل الجنوب ، وهى قبائل «البختيارى» و « القشقائى » ، وزعماء هذه القبائل يملكون ثلاثة فى المائة من اسهم الشركة ، وكانت هذه الاسهم قد قدمت هدية لهم من شركة البترول ، لكى يبذلوا كل نفوذهم لحماية مصالح الشركة وانابيبها الممتدة عبر

الصحارى من اى اعتداء !!

٢ - الدب المتحفز تحت سفح القوقاز

واهتمام روسيا بايران قصة مشهورة ، بدات منذ زمان طويل ان الحدود بين روسيا وايران مشتركة لمئات الاميال ، وروسيا دائما تحتل المركز الاول فى تجارة ايران ، وايران فيها البترول ذو الكميات الهائلة والمركز الاستراتيجى الممتاز ، ولا شىء أكثر من هذا .. الحدود المشتركة والتجارة والبترول والاستراتيجية يمكن ان تثير شهية عواطف روسيا تجاه بلد مثل ايران !

وثمة اتفاقات اقتصادية وسياسية كانت تربط علاقات البلدين منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى وبين هذه الاتفاقات ماكان يعطى — ولا يزال يعطى حتى الآن — الحق لروسيا فى ان تبادر الى احتلال ايران اذا نزلت فيها قوات تابعة لدولة اجنبية بقصد احتلالها او بقصد اتخاذها معبراً الى اراض أخرى

وخلال الحرب العالمية الثانية دخلت العلاقات بين روسيا وايران فى دور جديد ، فقد وقعت ايران تحت الاحتلال المشترك للانجليز والروس منذ سنة ١٩٤١ ، ثم جلوا عنها بجيوشهم ، وتركوا مؤامراتهم، أخرجوا جنودهم وأدخلوا جواسيسهم !

وترك الروس وراءهم فى ايران — غير المؤامرات وغير الجواسيس — حزب تودة ، ومن حزب تودة تفرع الحزب الديمقراطى الذى راسه جعفر بيشفارى والفمنه حكومة الجمهورية الشعبية الايرانية فى تبريز، الموالية لموسكو، الثائرة على طهران !

ولم تكن موسكو تؤمن بحكومة جعفر بيشفارى الأكثر من سبب! كانت تعتقد أولا ان الوقت ليس ملائما للقيام بها

وكانت ترى ثانيا ان الاسباب التى من اجلها اقام جعفر بيشفارى هذه الجمهورية ، أسباب واهية غير منبعثة عن وعى شعبى كامل ومن ثم فهى لا تبرر اتساع الحركة .

ولكن هذه الاسباب كلها لم تمنع موسكو من أن تساند جمهورية جعفر بيشفارى لتستفيد منها او لتساوم بها عند الاقتضاء ..

وكانت ايران قد رفعت امر الجمهورية الثائرة ، ومساعدة الروس لها ، الى هيئة الامم المتحدة

وطالت المناقشات دون جدوى، وقرر رئيس وزراء ايران وقتها السيد احمد قوام السلطنة ان يتجه الى الاتحاد السوفيتى مباشرة ، وكان قوام السلطنة ـ الثعلب ـ يعرف حنين روسيا وتشوقها الى الحصول على امتياز لاستغلال بترول الشمال فى ايران مما جعله واثقا من نجاح لعبته .

وهمس قوام السلطنة فى اذن الرفيق سدتشيكوف سفير روسيا فى طهران بأنه على استعداد لان يعطى روسيا ما تطلبه من امتيازات

ثم طار قوام السلطنة الى موسكو وعاد منها بعد عدة أيام ليذيع بلاغا رسميا هذا نصه:

« ان المفاوضات التى بدأت فى موسكو بين رئيس الوزارة الايرانية والسلطات السوفيتية قد وصلت الى اتفاق تام بشأن جميع المسائل وهى :

١ ـ تجلو قوات الجيش الاحمر عن جميع اراضى ايران فى غضون شهر ونصف

٢ ـ الموافقة على تاسيس شركة ايرانية سوفيتية مشتركة للزيت تعرض شروطها على الدورة الخامسة عشرة للبرلمان الايرانى للتصديق عليها فى بحر ٧ شهور

٣ ـ ان مسالة اذربيجان مسالة داخلية ايرانية ومن حق الحكومة الايرانية ان تضع الترتيبات السلمية التى تراها مع شعب اذربيجان لانهاء المشكلة مع التوصية بتنفيذ بعض الاصلاحات التى تتمشى مع روح المودة مع شعب اذربيجان

وهكذا القت موسكو بجمهورية جعفر بيشفارى الى الارض لان يديها امتلأتا بالوعود والآمال فى بترول الشمال !

ولكن قوام السلطنة الثعلب راوغ فى عرض الاتفاق على المجلس وارسلت موسكو احتجاجا بعد احتجاج ، وانذارا بعد انذار ،ولم يجد قوام السلطنة مفرا فقدم مشروع تاسيس الشركة الايرانية السوفيتية للزيت الى المجلس الذى قرر ان ينظره يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٤٧

ولعبت المناورات والمؤامرات واذا المجلس يرفض الاتفاق باغلبية ١٠٢ صوت ضد صوتين، واتخذ المجلس فى نفس الجلسة قرارا يمنع الحكومات الايرانية من ان تفاوض فى المستقبل أو تتفق على منح اى امتيازات لاستغلال بترول الشمال لاية دولة اجنبية ، واقر المجلس فى نفس الوقت برنامجا وطنيا مدته خمس سنوات البحث عن البترول فى الشمال واستغلاله بواسطة رأس مال ايرانى

وكان السفير الامريكى فى طهران ـ جورج الن فى ذلك الوقت ـ اول المصفقين لهذا القرار ،وادلى يومها بتصريح نشرته الصحف وجاء فيه :

« مع انه كانت هناك شركات امريكية تسعى للحصول على

امتيازات فى بترول المنـــاطق الشمالية من ايران — ومع ان هذا القرار من البرلمان الايرانى يقضى على أمل هذه الشركات ، فان الولايات المتحدة تؤيد قرار المجلس بكل قواها وتؤيد حرية ايران الـــكاملة فى التصرف فى موارد بترولها »

وفوجئت روســيا بالضربة ، ولكنها قررت أن لا تسكت

فقد حدث بعد ذلك أن أعلنت الحكومة الايرانية انها — طبقــا لقــرار مجلـس النواب لمشروع السنوات الخمس الخاص بالبحث عن البترول — ستبدأ فى استكشاف مناطق الشمال

ومضت الحكومة الايرانيـــة خطـــوة فى طريق التنفيـــذ فاستخدمت بعض الخبراء لمسح المناطق الشمالية واستكشافهــا بالطائرات طبقا لأحدث الاساليب العلمية .

وذات صباح طلب الرفيـــق سدتشيكوف الســـفير الروسى مقابلة رئيس وزراء ايران عــلى عجل ، وكان يومها السيد حكيمى ، وكان سدتشيكوف يحمل انذارا من حكومة موسكو تقول فيـــه « ان الطائرات التى تدعى حكومة ايران ان مهمتها هى مسح أراضى الشمال جيولوجيـــا بحثــا عن البترول انما هى فى الحقيقة تقوم بتصوير الحدود الروسية لحساب الامريكيين »

واجتمع مجلس الوزراء الايرانى ليقرر — دفعا للأذى وايثارا للعافية — وقف أعمـــال البحث بالطائرات ، وأن يستعاض عنها بطرق الحفر والتنقيب العادية

ومرة ثانية طلب سدتشيكوف مقابلة الســـيد حكيمى رئيس الوزراء ليحمل له للمرة الثانيـــة — أيضا ! — انذار من موســـكو جاء فيه : « انه ثبت علميـــا أن كميات البترول المختزنة تحت طبقات الارض فى المناطق الشمالية من ايران متصلة اتصـــالا وثيقا بمسارب ما تحت الارض بمنابع البترول الروســـية فى القوقاز ،

وان اى سحب للبترول من اى آبار قد يتم حفرها فى شمال ايران ، انما يسحب فى الواقع ونفس الوقت – من الاحتياطى المدخر فى باطن الآبار الروسية ، وعليه ، فان حكومة الاتحاد السوفيتى تطلب وقف أعمال الحفر والتنقيب فى الشمال ، وعلى الفور » !

ومرة اخرى قرر مجلس الوزراء الايرانى – دفعا للاذى وايثارا للعافية – أن يقف كل أعمال البحث عن البترول فى الشمال الى أجل غير مسمى !

٣ – تحية للجيش الأحمر

ولقد قام الروس بمناوراتهم فى ايران ببراعة تستحق الاعجاب!

والذى يقول ان شعب ايران يكره الروس او يتمنى حربا معهم يتجنى على الحقيقة وعلى واقع الامور فى كل ايران

بل ان العكس هو الصحيح..

ان روسيا استفادت بطريقة غير مباشرة من كل ارباح حزب تودة فى طهران ، ولم تكتف روسيا بفوائدها غير المباشرة من وراء تودة بل اقدمت بنفسها وبطريقة ايجابية على العمل لحساب نفسها

ولقد سمعت أكثر من مرة وانا فى طهران من يقول :

– ما لهم الروس ... أليسوا خيرا من الانجليز والامريكان ؟

وطهران تروى لصالح الروس قصصا عجيبة ، وتحمس احد موظفى الحكومة الايرانية يوما وقال لى :

« لقد جاء وقت اشترك فيه الروس مع الانجليز والامريكيين فى احتلال طهران ، وبينما كان الجنود الانجليز والامريكان يسكرون ويعربدون فى الشوارع كانت القيادة الروسية قد

أصدرت أوامرها مشــددة بان يلزم جميع الجنود الروس أسوار ثكناتهم ولايخرجوا الى المدينــة أبدا ! .

وفى الوقت الذى كنا ــ نحن سكان طهران ــ نروى فيه قصص خطف النســاء والفتيات فى السيارات العسكرية الانجليزية والامريكية ، كنا نتحدث باعجاب عن أدب جنود الروس ورقــة جنود الروس

وكم من مرة شهدت كباريهات طهران معارك دامية بزجاجات البيرة وبالعصى والمدى والقبعات الحديدية ، بين الجنود الانجليز وابناء عمومتهم الامريكان، هذا بينما كان الضباط الروس ينظرون من بعيد الى هــذه المعارك ويهزون رؤوسهم أسى وأسفا على حلفائهم ثم ينظرون الى أفراد الشعب الايرانى بود وحنان !

وروى لى أحد ضباط الجيش الايرانى انه شهد مناورات أقامها الجيش الاحمــــر قرب ايران ، وقال لى الضابط الايرانى وكان مكلفا أثناء هذه المناورات الروسية بحفظ الامن والنظام :

« حــــدث ان تحمس بعض الاهالى ضد جنود الجيش الاحمر واخذوا يقذفونهم بالسباب ، ثم تحول السباب حجارة، وسقطت قطع الاحجار فعــلا على بعض الجنــــود الروس ، وكنت فى مكانى أتميز غيظا وأقــول لنفسى : لو أخرج هؤلاء الروس مسدساتهم وأطلقوا النــار على الذين يقذفونهم بالحجارة لمــا استطعت ان ألومهم ، ولــكن الجنود الحمر كانوا يتلقون الحجارة بابتسامات عذبة رقيقة ، وعلمنا أن القيادة الروسية اصـــدرت أوامرها اليهم ان يتصرفوا هكذا بمنتهى الادب حتى ولو اعتدى عليهم !..

وفى تبريز عاصمة أذربيجان رأيت بعينى نموذجا آخر لـ امة الروس ...

لقد كانت تبريز عاصمة للحكومة الشيوعية التى اقامها جعفر بشفارى وحمتها موسكوثم تخلت عنها املا فى بترول الشمال

ولكن موسكو لم تترك تبريزالا بعد ان جعلت منها منشورا ضخما للدعاية للمذهب الشيوعى، وتبريز اليوم - من أكثر من ناحية - موضع حسد باقى المدن الايرانية بما فيها طهران نفسها!

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام الجمارك ولكن تبريز التى كانت عاصمة شيوعية تتمتع بهذه الميزة ، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمجارى ..

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام للمياه النظيفة ولكن تبريزالتى كانت عاصمة شيوعية تتمتع بهذه الميزة ، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمياه النظيفة

وشق الروس شوارع فسيحة وسط تبريز ، واقاموا مبانى جميلة كثيرة ، ولقد ركبت عربة يجرها جوادان فى شوارع تبريز ، وكان السائق يشير بسوطه الى بعض المبانى الجديدة ويقول :

- هذا هو البرلمان الذى بناه الديمقراطيون - يقصد الشيوعيين

- هذا هو مقر رئاسة جعفر بيشفارى

- كل هذا بناه الديمقراطيون

وسألت سائق العربة : وانت ؟ ماذاكنت تفعل ايام الشيوعيين ؟

وشد السائق قامته بفخر و قال : كنت جنديا يا سيدى !

واقام الروس مستشفيات كبيرة فى تبريز ، واقامت هذه المستشفيات محطات علاجية نائية فى مناطق اذربيجان

وانشط المستشفيات ، واكثر ها زوارا ، فى تبريز هوالمستشفى السوفييتى الذى يخفق عليه العلم الاحمر ، وبينما الاطباء الايرانيون الثلاثة فى تبريز لايتر كون منازلهم اثناء الليل الابأجور

مضاعفة عدة مرات ، وفى بعض الاحيان يرفضون زيارة المرضى فى المناطق النائية ، فى نفس هذا الوقت ، يلبى اطباء المستشفى السوفيتى من الروس اى دعوة ، وفى اى مكان ، وفى اى وقت من الليل اوالنهار

وقال لى ضابط ايرانى ، وكان واقفا يحدثنى ونحن فى قرية « جولفا » على حدود روسيا ، وضباط الجيش الاحمر يلوحون امامنا وراء حدودهم :

ــ لقد لعب الروس لعبتهمفى منتهى البراعة ، كانوا يعلمون انهم لن يبقوا فى ايران وأنهم سينسحبون منها ، فحرصوا على ان يتركوا بعد ذهابهمذكريات عاطرة

واستطرد الضابط الايرانى وهو يشير الى الحدودالروسية :

ــ أنا واثق مما أعلمه عن حالة مواطنيهم وراء الحدود ــ ونحن جيران لهم كما ترى ــ أن نظامهم ليس خيرا على الاطلاق ، بل ونحن واثقون انهم يوم يخلو لهم الجو معنا لن يكونوا فى مثل الرقة التى كانوا عليها فى الماضى ... ولكن ...

ولاحت على وجه الضابط الايرانىعلامات المرارةثم استطرد .

ــ ماذا فعل الانجليز والامر يكيون لنا لكى نقف الآنمن اجلهم ونواجه وحدنا ذلك اليوم الذى نستيقظ فيه لنجد جولفا قد امتلأت بالجنود والسيارات والدبابات

وهز الضابط الايرانى راسه فى حدة وغيظ :

ــ اقول لك الحق ؟ انى لست مستعدا ان اموت هنا لكى يضمن الانجليز بترولهم فى الجنوب او لكى يطمئن الامريكانالى خط دفاعهم عن الشرق الاوسط

لماذا نقف وحدنا هنا ، ولماذا يفرض علينا ان نواجه الجيش الاحمر وحدنا ؟

وابتسم الضابط اخيرا وهو يقول :
ــ لا تتصور انني شيوعي . . على العكس لقد عشت قرب هؤلاء الناس وعرفت عن كثب مساوىء نظامهم ولكنى كما قلت لا اريد ان اموت فى سبيل الانجليز والامريكان !

٤ - ملك فى ملابس رعاة البقر

واخيرا فان اهتمام الولايات المتحدة الامريكية شيء جديد على ايران !

والامريكان فى طهران ، زائر حائر تائه ، يجرى وراء اهداف غامضة مبهمة لا يدرى ما هو اصلح الطرق للوصول اليها

والخطوط الرئيسية لأهداف الامريكان فى طهران هى دون شك :

١ ــ الدفاع عن الشرق الاوسط

٢ ــ بترول ايران

فاما الدفاع عن الشرق الاوسط ، فان الولايات المتحدة تقف امامه مذهولة ، مرتبكة ، ومعظم الدبلوماسيين الامريكان الذين لقيتهم فى طهران كانوا يرون أن الوقت قد فات لانقاذ الموقف فى طهران كمركز من مراكز دفاع الغرب ضد الشيوعية ، وقال لى دبلوماسى امريكى :

ــ لافائدة . . ان ايران لايمكن ان تكون مركز قوة لدفاع الغرب

واستطرد على الأثر :

ــ ولكننا لا نستطيع ان نتركها ثغرة مفتوحة !

ولقد حاولت الولايات المتحدة أن تقيم اقتصاديات ايران على اسس ثابتة ، واعلنت اكثر من مرة انها تنوى المضى فى تقوية ايران بكل الوسائل حتى لو ادى الامر الى فرش شوارع طهران

بالدولارات ، ولكن الامر لم يزد على مجرد النية، فان ماحصلت عليه ايران من الولايات المتحدة برغم كل الدعايات لم يزد على نصف مليون دولار طبقا لبرنامج النقطة الرابعة ، هـذا بينما الخبراء الامريكيون الذين اقترحت الولايات المتحدة تعيينهم كمستشارين فنيين للوزارات الايرانية المختلفة ـ كانوا يكلفون الحكومة الايرانية أكثر من مليون دولار في السنة ، فان الواحد منهم لم يكن يجيء الا اذا وقعت الحكومة الايرانية معه عقـدا سخيا ، لسنوات طويلة ، وبمرتب ضخم يدفع بالدولار

وكان الواحد منهم يصل الى طهران فيشرع في اختيار مبنى يصلح لادارته ، ثم ينشيء سكرتارية خاصة ، ومكتبا خاصا ، ولا تمضى شهور الا وقد اصبح الخبير الامريكى وزارة داخل الوزارة بل وزارة فوق الوزارة

وكانت ايران تقبل هذا كله ، وهى تعيش على حمى الأمل فى عقد قرض امريكى ضخم ، ولقد كان هذا هو السر الحقيقى لزيارة جلالة شاه ايران للولايات المتحدة فى العـام المـاضى ، وبذل الملك الشـاب كل ما فى وسعه ليضمن الحصول على ذلك القرض

عامل الرئيس ترومان كما لو كان الها ليضمن الرئيس

وتودد لأعضاء الكونجرس كما لو كانوا انصاف آلهة ليحصل على رضاهم

وارتدى ملابس رعاة البقر ، وركب جياد الغرب الملونة ، وظهر فى الصور مع ممثلى هوليوود ، ومضغ اللبان الامريكى ، كل هذا ليكسب الرأى العام فى الولايات المتحدة ، وعاد الشاه الى طهران وآماله فى السماء تحلق على قرض قيمته ٣٠٠ مليون دولار على الأقل !

وتقدمت وزارة رزم آراه فى اول عهدها تطلب الى الولايات

المتحدة عقد قرض لها مقداره ٣٠ . مليون دولار ، وهنا وقعت المفاجاة ، واذا واشنطن تقول بصراحة انه لا امل لايران فى اكثر من ٢٥ مليون دولار فقط ، وحتى هذا المبلغ الضئيل يحتاج الى مباحثات ومفاوضات وشروط قبل ان تحصل عليه ايران

ولم يكن هناك مفر امام حكومة ايران ، وهكذا قبلت ان تدخل معها فى مفاوضات لوضع شروط حصولها على هذا المبلغ المتواضع !

بقى شىء واحد !

هو ان المفاوضات بدات فى واشنطن منذ ثمانية شهور ولم تنته حتى اليوم ، وبلغت تكاليف الوفد الايرانى الذى يقوم بالمفاوضات ـ سواء نفقات اعضائه او نفقات الدعاية لعقد القرض ـ مليونا كاملا من الدولارات !

ولم يغفل الامريكيون جيش ايران فقد طلبوا ان يعهد الى بعثة امريكية تدريب الجيش الايرانى واعداده ، ولكن الحكومات الايرانية التى ترتجف من الروس القابعين فى هدوء على الحدود رفضت هذا الطلب ، وان كانت ـ طمعا فى القرض الكبير ـ قد قبلت ايفاد بعثة امريكية لتتولى اعداد حرس الاقاليم

وقد وقع ذات مرة حادث غامض خطير لبعض أفراد هذه البعثة ، فقد حدث ان طافوا ببعض مناطق الشمال ووصلوا الى مقربة من الحدود الروسية فى بعض النقط ، وقيل انهم التقطوا بعض الصور والافلام ، ثم حدث وهم فى طريق عودتهم الى طهران ان خرج عليهم جماعة من الملثمين اوقفوا السيارات ولم يفعلوا شيئا لركابها الامريكيين الا انهم صادروا جميع ما معهم من صور وافلام !

هذا عن الهدف الاول للولايات المتحدة فى طهران وهو ضمان الدفاع عن الشرق الاوسط ، ثم يبقى هدفهـــا الثانى وهو بترول ايران !

وقصة سعى الولايات المتحدة وراء البترول فى ايران قصة ضخمة افضل ان اترك حقائقها المجردة وحدها تشرح تفصيلاتها :

١ ـ ان حاجة الولايات المتحدة الى البترول حاجـــة ملحــة حيوية ، فان الانتـاج اليـــومى للبترول فى الولايات المتحـدة سيصل فى سنة ١٩٥٥ الى ٥٠٠ر٣ برميـــل فى حـين ان الاستهلاك اليومى سيصل الى ٠٠٠ر٧ برميل ، ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة ستضطر الى ان تستورد من الخارج كل يوم ٥٠٠ر٣ برميل

٢ ـ ان الزيادة فى استهلاك البترول سوف تستمر ، وسوف تسجل أرقاما مخيفة اذا قامت حرب عالمية

٣ ـ ان النقص فى انتاج البترول الامريكى سيستمر ايضا ، بسبب جفاف موارده من شدة الاقبال على استغلالها

٤ ـ ان تكاليف استخراج البرميل الواحد من الزيت الخام فى الولايات المتحدة تبلغ ٤٣ سنتا فى حين ان تكاليف استخراج البرميل المماثل فى ايران تقل عن ١٠ سنتات اى اقل من الربع بالنسبة للتكاليف الامريكية !

٥ ـ ان موارد البترول فى ايران هى الموارد الوحيدة فى العالم ـ باستثناء الموارد الروسية بالطبع ـ التى ليس للولايات المتحدة نصيب فيها قل أو كثر

٦ ـ ان التطاحن بين الانجليز والامريكان بسبب موارد البترول فى الشرق الاوسط صراع هائل ـ برغم الصداقة والتحالف بين الشعبين ـ بل لعل هذا الصراع من أخطر العوامل التى تسبب

كثيرا من قلاقل الشرق الاوسط، وقد سبق لحكومة واشنطن ان احتجت رسميا اكثر من خمس مرات ـ بعضها بلهجات شديدة ـ على مؤامرات الحكومة البريطانية لعرقلة نشاط شركات البترول الامريكية في هذا الجزء من العالم ـ الشرق الاوسط ـ الذى ظل لفترة طويلة منطقة نفوذ بريطانية

٧ ـ ان بترول ايران بالذات كان موضع آمال ضخمة من الولايات المتحدة ، لان :

● نسبة الاحتياطى المحقق وجوده فيها اعلى نسبة فى العالم وتقدر بـ ١٢ بليون برميل

● صنفه من اجود اصناف الزيت فى العالم

● لان مركزه الاستراتيجى فى اى حرب فى الشرق الاقصى امر حيوى لكسب هذه الحرب

٨ ـ حاول الانجليز ارضاء الولايات المتحدة فتركوا لها بترول البحرين التى اقتسمته شركتان امريكيتان للبترول مناصفة ، هما شركة ستاندار اويل اوف كاليفورنيا وشركة تكساس

٩ ـ ان الامريكان ، حتى بعد هذا ، لم يسكتوا عن بترول ايران فقد عاودوا مساعيهم ليحصلوا على امتياز لاستغلال بترول الشمال وتقدمت بالفعل شركتا سوكونى فاكوم وسنكلير الامريكيتين للبترول بعروض الى حكومة ايران ولكن تدخل الروس طمعا فى بترول الشمال نفسه احبط المحاولة

١٠ ـ ان الامريكيين عادوا بعد ذلك يطلبون تعويضا من الانجليز فاضطر هؤلاء الى اسكاتهم بان جعلوا شركة البترول الانجليزية تعقد اتفاقا لمدة عشرين سنة مع شركة ستاندارد اويل الامريكية تسلمها بمقتضاها كميات ضخمة من البترول الايرانى

١١ – ان مناورات السفارة الامريكية فى طهران طوال مدة المفاوضات لتعديل شروط الاتفاقيــة بين الشركة الانجليزية والحكومة الايرانية كانت تهدف الى احراج الانجليز ، وفى مقدمة هذه المناورات ان السفير الامريكى مستر هنرى جرادى خرج أثناء هذه المفاوضات التى انتهت برفع حصة الحكومة الايرانية فى ارباح الشركة الانجليزية من ٢٠ الى ٣٠ فى المائة بتصريح يقول فيه : « انه يهمه ان يعلن ان شركة البترول الامريكية لاستغلال بترول المملكة العربية السعودية – ارامكو – تعطى الملك عبد العزيز آل سعود ٥٠ فى المائة من ارباحها

١٢ – ان هذا التصريح نفسه من أقوى العوامل التى استندت اليها الكتلة الوطنية فى المطالبة بالتأميم

١٣ – ان علاقة السفارة الامريكية فى طهران بالقــوى التى تطالب بالتأميم علاقة صداقة وود وابرز مظاهر هذه الصداقة ما يأتى :

● السفارة الامريكية هى التى ضغطت على الشاه ليسمح بعودة آية الله كاشانى الزعيم الدينى الكبير بحجة انه وحده يستطيع ان يقــاوم الدعوة الشيوعية ، بقوة العقيدة الدينية ، وآية الله هو اضخم القوى المعادية للانجليز ، وهو اضخم القوى المؤيدة لتأميم البترول ، وهو السند الضــخم للكتلة الوطنية

● دخل نواب الكتلة الوطنية العشرة الى الانتخابات الأخيرة عن دوائر طهران وسقطوا جميعا باستثناء الدكتور محمد مصدق وفى نفس ليلة اعلان نتيجة الانتخابات تدخل السفير الامريكى وقال ان الانتخابات مزورة ، ووجهت حـكومة واشنطن انذارا رسميا الى حكومة طهران اعيدت على اثره الانتخابات فى جميع دوائر طهران ، وكان من نتيجة الاعادة نجاح جميع مرشحى الكتلة الوطنية

● ان آية الله كاشاني والدكتور محمد مصدق يقفان في نفس الخط الذي تقف فيه الولايات المتحدة، وهوخط العداء لموسكو، اولهما بوصفه زعيما دينيا ، و الثاني بوصفه مليونيرا واحدكبار الملاك في ايران

● ان تاريخ الدكتور محمد مصدق في محاربة الشيوعية تاريخ حافل ، وكان زوج ابنته وهو السيد متين دفتري رئيسا للوزارة لما قبض على الدكتور آراني زعيم الشيوعية في ايران وظل في السجن حتى مات وكان دفتري ايضا رئيسا للوزارة لما القى القبض على جميع الزعماء الشيوعيين في ايران

١٤ – ان الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية تولى الوزارة بعد ان اقر مجلس النواب ومجلس الشيوخ وجلالة الشاه ، تأميم البترول فاذا أول تصريح له هو تصريحه المشهور بان روسيا لن تحصل على قطرة واحدة من بترول ايران

ثم لا يبقى شيء ، الا ان تذكر ان الكتلة الوطنية تعادي الانجليز، وتعادي الروس ، وهي بعدذلك في حاجة الى خبراء والى قروض والى مشترين للبترول ، واذن فلا يبقى امامهــا الا الولايات المتحدة ، وهكذا تمضي قصــة الهدف الثاني لواشنطن فيطهران وهو بترول ايران .. صــاحب الجلالة الاسود !



الفصل الثامن

وحدي .. وحدي .. وحدي تماما في هذا البحر الواسع..
الواسع !

« كولريدج »

عرش في مهب الريح ــ الملك الحائر ــ آية الله
يطرد مندوب الملك ــ ام الملك لها رأى ــ أشرف
الجميلة ــ لقد وزعت أرضى ــ اريد أن يحبنى
شعبى ــ فى كف القدر !.

١- تاج وعرش وملك واسع

وفى وسط هذا الطوفان الهائل الذى يغمر طهران ، يحاول شاب فى الثانية والثلاثين من عمره أن يطفو جالسا على عرشه وتاجه فوق رأسه ، على سطح التيار الجارف .

والشاب هو الامبراطور محمدرضا بهلوى

وثمة عقدة تسيطر على تفكير الملك : تلك هى انه لا يريد ان يكون سببا فى ضياع العرش الذى كافح والده ليجعله لاسرة بهلوى . . .

لقد بدأ والده رضا بهلوى حياته خادما فى اسطبل ثم اصبح سائسا واصبح جنديا فجاويشا فضابطا فى الجيش الايرانى ايام اسرة كاچار ، وانتهى به الامر وزيرا للحربية، ثم قفز على العرش

وحين ولد محمد رضا بهلوى ـ الامبراطور الحالى ـ كان والده لا يزال ضابطا عاديا فى الجيش، وكانت ذكرى أيام الفقر السوداء تخيم بظلالها القاتمة على جو الأسرة . . . ثم شاهد الفتى ، والده يقفز الى السماء ويمنح الأسرة ـ أسرة خادم الاسطبل القديم ـ تاجا وعرشا وملكا واسعا .

ثم اضطر رضا بهلوى أن ينزل عن العرش لابنه ـ أول ملوك أسرة بهلوى بعده ـ وشاء القدر أن يبدأ محمدرضا بهلوى سنوات ملكه وعرشه يتأرجح تحته ، وتاجه يهتز ولا يكاد يستقر فوق رأسه ، وملكه الواسع تمزقه المؤامرات والفتن

ومن هنا كانت عقدة الامبراطور الشاب

انه يريد أن يحفظ العرش والتاج والملك بأى ثمن، وبأية طريقة

ولعل هذا هو السر فى أن يستمع الى أكبر عدد من المستشارين

انه لا يرفض نصيحة ، ولا يلقي الى الريح بأي رأي يسمعه ، ولا يتردد في تنفيذ اي اقتراح يشاربه عليه

ولعل هـذا هو السر في أن تصرفاته تبدو متناقضة ، واتجاهاته تظهر غير متماسكة ،لا تربطها وحدة .

ان تصرفات الملك بالامس قدلا تتفق مع تصرفاته اليوم ، ولا تتمشى مع تصرفاته غـدا ، بل وربما بدا التناقض بين تصرفاته في الصباح وتصرفاته في المساء، والسر في ذلك،هو تعدد المستشارين واختلاف اتجاهاتهم ، وطاعة الملك الدائمة المستعدة ابدا لأن تسمع وتنفذ !

واستمع الملك فترة أثناء الازمة الاخيرة لنصائح الانجليز

وكانت نصائح الانجليز تتلخص في : ان جلالتك ملك تملك وتحكم وشعبك جاهل قاصر لا يعرف كيف يصرف اموره ، وبيدك انت الشاب الطموح ان تصنع مستقبل بلادك ، تقـدم ولا تخف ونحن وراءك ... ان هذا المجلس ـ مجلس النواب ـ بتشكيله الحالي لا يقف معك بل يقف ضدك فلماذا يبقى ؟ ان كل هـؤلاء النواب يسعون لصالحهم فلماذا لا تحل المجلس، ولماذا يقف رجل كآية الله امامك ، كأنه الملك دونك . . . اقبض على آية الله كاشاني ، واعلن الاحـكام العرفية حتى يستتب النظام ويستقر الامن !

وكان الملك على وشك ان يأخذ بنصائح الانجليز ، وشاع في دوائر طهران بالفعل ان الملك سيوقع اوامر بحـل مجلس النواب ، والقبض على آية الله ، واعلان الاحكام العرفية

ولكن هذا الاتجاه سرى الى السفارة الامريكية ، فاذا السفير الامريكي يتدخل بنصائح جديدة لدى الشاه ، وكانت النصائح الامريكية تتلخص في : « انه من الخطورة حـل مجلس النواب ، هذا اجراء لايتمشى مع مبادىء الديمقراطية ، ولماذا تحل المجلس

اذا كان فى وسعك ان تصادق أعضاءه وتكسبهم الى جوارك ، ثم لماذا تقبض على آية الله ،نفهم ان تتقرب منه وتتودداليه لينضم الى صفك فيكون سندا للعرش»

وحاول الشاه ان يسمع نصائح الامريكيين

ارسل يستدعى رئيسى مجلسى البرلمان ليكونا بجواره بآرائهما طوال مدة الازمة ، ولكن هذا لم يكفل له صداقة المجلس ، ومامن جلسة عقدها النواب خلال الازمة الا اتجهت الهجمات قوية قاسية ضد الشاه ، وضد اسرته وعلى رأسها الاميرة اشرف !

بل ان الهجوم على الشاه تعداه، وتعدى اشرف ، ووصل الى والده فى قبره الذى تردد اسمه تحت قبة البرلمان مسبوقا باوصاف الظالم الطاغية السفاح!

وتودد الشاه الى آية الله كاشانى واظهر له الحب والهيام

وحدث مرة ان توعكت صحة آية الله فوجدها الامبراطور فرصة لاظهار عواطفه الطيبة تجاهه فارسل مندوبا يسأل عن صحته

وارغم مندوب الامبراطور على ان يدخل الى حضرة آية الله راكعا على ركبتيه ، زاحفا كبقية الناس ممن لا يمثلون الملوك والاباطرة

واكثر من هذا اعتدل آية الله فى فراشه والتفت الى مندوب الامبراطور يقول له :

ـ هل صحيح ان الحضرة الشاهانية مهتمة بصحتى ؟

وقال مندوب الامبراطور :

ـ ان جلالة الملك بلغ من اهتمامه انه ارسلنى الى هنا لابلغك امانيه الطيبة

وبدا الغضب على وجه آية الله وقال :

ــ اذا كانت صحتى تهم جلالته الى هذا الحد فلماذا لم يجيء الى بنفسه !

٢ - اعاد الأرض الى اصحابها

وحاول الشاه ان يرضى الشعور العام فى بلاده والرأى العام العالمى فقرر ان ينزل عن اراضيه للفقراء ،ومضى الى أكثر من هذا فناشد اغنياء ايران ان ينزلوا عن جزء من اراضيهم للفلاحين الذين يعيشون عليها

ولم يكسب الشاه رضا الاغنياء بالطبع

ولكنه ــ فى نفس الوقت ــ لم يحظ بعطف الفقراء ، وسار الناس فى الشوارع يقولون :

ــ لم يفعل الملك اكثر من ان رد الحق المغتصب الى اصحابه .. هذه الاراضى التى وزعها على الناس ورثها عن أبيه، وأبوه كان خادم اسطبل قبل ان يلى الملك ، فمن اين جاء بالارض ان لم يكن قد نهبها من اصحابها الاصليين من فلاحى ايران وملاكها ، واذن فان محمد بهلوى لم يفعل اكثر من أن أعاد ما سلبه أبوه الى الذين كانوا يملكونه . . . فأي شيء فى ذلك يستحق الشكر ؟ !

ولقد قابلت جلالة الامبراطور وسمعت من فمه قصة توزيعه لأراضيه

وكان اللقاء فى قصر المرمر الجميل البديع

وسرت وراء كبير الامناء فى القصر عبر الصالات الواسعة المليئة بالفن والجمال ، وعلى السلم الواسع من المرمر اللامع الذى ينساب فوقه الذهب ، وعلى السجاجيد ، التى كانت

اشبه ما تكون بلوحات خالدة من آيات الفن فرشت على الارض ، وتوقف كبير الامناء امام باب مقفل وانحنت هامته وهو يفتح الباب برفق ودخلت لاجد صاحب الجلالة امبراطور ايران واقفا يتوسط غرفة المكتب البديعة والى يساره الامبراطورة ثريا عروسه الجميلة

وكان جو الغرفة يتضوع عطرا وسلاما

النوافذ الواسعة المفتوحة لاشعة الشمس ، تظهر حديقة القصر وراءها خضراء جميلة ، واوانى الزهور الثمينة ملاى بالوان الورود النادرة ، وثمة ستار كبير فى يمين الغرفة كان مفتوحا على حديقة شتوية تتناثر فيها مجموعات الزهور التى تفوح بالبهجة والترف

وكان الامبراطور يرتدى بذلة رمادية مخططة، وعلى شفتيه ابتسامة طيبة ، وعلى انفه و فوق جبهته آثار الجرح الذى أصيب به لما اطلق عليه « مير فخرائى » الرصاص فى جامعة طهران منذ ثلاث سنوات

وكانت الامبراطورة ثريا ترتدى فستانا ازرق انيقا تجرى فيه خيوط من الذهب ، وكانت جميلة صغيرة وديعة

وبدأ الشاه الحديث بموضوع توزيع الاراضى ، قال لى :

ــ لقد كنت اليوم فى فارامين اوزع أول مجموعة من هذه الاراضى على ملاكها الجدد من الفلاحين

وسكت جلالته لحظة ثم رفع بصره وقال :

ــ ماذا يقول الناس عن توزيع الاراضى ؟

وقلت :

ــ انهم يقولون ان جلالتك اثبت انك تعيش فى عصرك ، وانك تفكر بعقلية سنة ١٩٥١

وهز الامبراطور رأسه وقال :

ـ الواقع انى اعتقد انه لا سلام ولا استقرار فى الشرق الاوسط ما لم يعد توزيع الثروة فيه من جديد على أساس عادل . ونحن الآن كما تقول فى سنة ١٩٥١ ، والعالم تغير كثيرا عن ذى قبل

ومضى جلالته بصوته الهادىء فى حديثه ، وكانت الامبراطوره ثريا تنظر اليه وهو يتكلم ، وتحاول ان تتابع الحديث الذى كان يدور باللغة الانجليزية

وكان جلالته يقول :

ـ حينما كتب ابى وصيته ، ترك لى كل اراضيه ، وكانت فى مجموعها تبلغ ربع الاراضى المزروعة فى ايران ، وكان ابى يقصد من ترك اراضيه لى ، ان يساعدنى دخلها على أن احتفظ بجلال الملك

ولكن الدنيا تتطور ، والافكار تتغير بسرعة

ولقد رايت انواجبى الحقيقى كملك يقتضينى أن اوزع هذه الارض لتساعد الشعب على الحياة ، وكنت واثقا من أن مساعدة الشعب على الحياة اضمن الطريق لصيانة جلال الملك

ومضى جلالة الامبراطور فى حديثه :

ـ ولقد قررت فى بداية الامر أن أنزل عن هذه الاراضى للحكومة ، على انيصرف دخلها على المشروعات ، التى ترفع من مستوى الحياة بين افراد شعبى

ولكن ظهر لى فيما بعد ان هذه الفكرة لم تكن مجدية

ولقد كان دخل هذه الاراضى حين سلمتها للحكومة ٧٠ مليون تومان فى السنة ـ مايقرب من سبعة ملايين جنيه مصرى ـ

ولكن الروتين الحكومي – وشأنه واحد في كل الحكومات تقريبا – كان من نتائجه ان ساءت ادارة هذه الارض حتى انخفض دخلها وفوجئت بعد سنوات بأن الدخل ، الذى كان يصل الى ٧٠ مليون تومان قد هبط الى ستة ملايين فقط اى انه هوى الى اقل من العشر

ولم يكن فى استطاعتى ان اسكت فتقدمت الى البرلمان اطلب ان تعاد الى هذه الاراضى لتوضع تحت ادارة خاصة تكون مسئولة امامى

وكانت شقيقتى اشرف تنهض بجمعية تساهم فى الخدمة الاجتماعية بنصيب وافر ، ولم اجد مانعا من أن يخصص جزء كبير من دخل هذه الاراضى لرعاية المشروعات الاجتماعية التى تقوم بها أشرف ..

وكنت شديد الاهتمام بأن يعود دخل هذه الاراضى الى ما كان عليه قبل ان يهبط بها سوء الادارة الى اقل من العشر

وفى السنة الاولى للادارة الجديدة ارتفع الدخل من ستة ملايين تومان الى اثنى عشر مليونا ، واعتقد ان الدخل سيصل فى السنة الاخيرة الى ٢٠ مليون تومان !

واستطرد صاحب الجلالة الايرانية :

– ومنذ اشهر خطر ببالى انه مهما يكن من امر المشروعات النافعة التى تصرف فيها دخول هذه الاراضى فان حلم الفلاحين دائما ان يصبحوا ملاكا

وسارت افكارى فى هذا الاتجاه ، واستقر رأيي على توزيعها

وسكت الامبراطور برهة ، ثم استطرد وهو يضغط بأصابع احدى يديه على أصابع اليد الاخرى !

— سوف اشرح لك الفكرة بسرعة .

ومضى جلالته :

— لقد قررت ان ابيع لهؤلاء الفلاحين هذه الاراضى بأثمان تقل عن نصف قيمتها وباقساط لمدة ١٥ سنة .

وقررت ان تخصص المبالغ المتجمعة من ثمن البيع لانشاء صناعات زراعية قوية ..

وقررت ان يذهب ربح هذه الصناعات الزراعية الى مؤسسة خاصة تتولى استصلاح الاراضى غير الصالحة للزراعة بكل الوسائل العلمية والفنية ، لكى توزعها بدورها على فلاحين يصبحون ملاكا جددا

وسكت الامبراطور ثم رفع بصره الى وقال :

— هذه وجهة نظرى .. هل وفقت فى شرحها ؟

وقلت لجلالته :

— انها شديدة الوضوح ...

وأشار صاحب الجلالة الى ملف على مكتبه وقال :

— لقد طلبت الى الخبراء أن يعدوا مشروعات بانشاء جمعيات تعاونية تقام على الفور . وتباشر نشاطها فى مساعدة الفلاحين ، الذين وزعت عليهم الاراضى . وانا ارى انه لا يكفى ان نعطيهم الاراضى ونقول لهم :

— لقد اصبحتم ملاكا فاذهبوا الى حالكم

ان هذا خطأ كبير ، وواجبنا ان نقف بجوارهم نساعدهم لنجعل من ملكيتهم ملكية نافعة مثمرة لهم .

وسكت جلالته ريثما يخرج علبة سجائره من جيبه ويشعل سيجاره ينفث دخانها فى الهواء ثم استطرد :

ـ انا اتمنى من صميم قلبى ان ننجح ، وانا ابذل من اعماقى كل ما فى وسعى لرفاهة شعبى

ولما قررت أن انزل عن جميع أراضى ، جاءنى البعض يقولون :

ـ الا تحتفظ بجزء منها وتنز ل عن جزء ، وهل يعقل ان يكون امبراطور ايران لا يملك قيراطا واحدا من اراضيها الزراعية ؟

وقلت لهم وأنا ابتسم :

ـ ان امبراطور ايران يريدان يستبدل بهـذه القراريط من الاراضى الزراعية قراريط اخرى من قلوب رعاياه ؟

وسكت الامبراطور وكان فمه يحمل ابتسامة عريضة . وكانت الامبراطورة ثريا هى الاخـرى تبتسم ...

. . . .

. . . .

. . . .

وبعد دقائق كنت أهبط سلم قصر المرمر ، ثم أتمشى على قدمى فى الهواء البارد خارج القصر عبر خيابان كاخ أى شارع القصر ـ وكلمات ملك شاب طيب يحاول أن يخـدم بلاده لا تزال تملأ خواطرى . .

وعند نهـاية « خيابان كاخ » كان أحد باعة الصحف ينادى بأعلى صوته على طبعة جديدة من جريدة « رازانى » . .

وكان عنوان الصفحة الاولى فى الجريدة :

« الشاه يقامر بتاجه وعرشه »

وحملقت فى الجريدة بدهشة .. وتنهدت أقول لنفسى !

ـ ماأصعب صناعة الملك ، وماأشق أن يكون الانسان ملكا !

٣ ـ وحدى .. وحدى !

وكانما لا تكفى الملك كل هـذه المتاعب ، حتى تهب اسرته نفسها لتقوم بدورها فى تنغيص حياته !

واول افـراد اسرة الملك هى صـاحبة الجـلالة الملـكة تاج الملوك والدته

« وتاج الملوك » التى شهدت كفاح زوجها من خادم فى اسطبل الى ملك وامبراطور ، والتى شهدت دكتاتورية رضا بهلوى لتثبيت دعائم عرش اسرة بهلوى فى حكم ايران ، والتى شاهدته آمرا ناهيا حاكما مطلقا فى مصائر الشعب الايرانى ، غير راضية عن سياسة ابنها

وروى لى احد موظفى « دربر » ـ البلاط الملـكى الايرانى ـ ان جلالة الملكة الام كثيرا ما تدخل مكتب ابنها غاضبة ثائرة ، تلومه على الطريقـة التى يسـوس بها الامور ويسير بها الملك

وكم حدثت مشادات بين الام وابنها ، هى تقول : ان الاسرة قد انتهت بفضـل تهاون « محمد » ابنها الملك وتراخيه ، وانه لايصلح ان يكون ملـكا ، وان لا شىء فيه يشبه اباه

ويحـاول الابن الملك ان يشرح للام ان الدنيا تغيرت ، وان العصر غير العصر ، والناس غير الناس ، وان ايام الحكم المطلق لرضا بهلوى شىء ، والحكم النيابى لمحمد رضا بهلوى شىء آخر

وتخرج الام وقد ملأتها الحسرة والاسف فتعتكف فى قصرها لاترى احدا ولا يراها احد ، ولكنها تعود بعد ايام فتقتحم مكتب ابنها ثائرة ساخطة غاضبة !

وثانى افراد اسرة الشاه هى شقيقتـه الامـيرة اشرف وهى

متزوجة من شـاب مصرى هو الاستاذ احمد شفيق ابن شفيق باشا المؤرخ المشهور

والاميرة اشرف فتـاة جميلة ذكية ، لا تقنع ان تكون اميرة او زوجة وانما تحلم ان تلعب دوراايجابيا واسع النطاق ، لا فى ايران وحدها ، وانما فى المحيط الدولى كله . . .

والمثل الاعـلى للاميرة اشرف هو نابليون بونابرت

ولقد قابلت سموها مرتين ،مرة فى الصالون ، ومرة فى غرفة مكتبها ، وفى الصالون كان هناك تمثال لنابليون ، وفى غرفة المكتب كانت هناك لوحة لنابليون !

ولقد كان لاشرف نفوذ هائل على شقيقها

ولكن العارفين فى طهران يقولون ان نفوذ الاميرة اشرف قد بدأ ينكمش

ثم تروى طهـران بعـد ذلك قصـصا غريبة ، منها مثـلا ان الاميرة اشرف كانت بعيـدة كل البعد عن تفصيلات زواج شقيقها من ثريا اسفنديارى ، وان شقيقتها الثانية الامـيرة شمس هى التى قامت مع الملك بكل الترتيبات

ويبدو فعلا ان اشرف لم تكن راضـية عن زواج شقيقهـا ، ويبدو ايضـا انها لم تقتصـد فى ابداء عدم رضاها لدرجة انه لما مرضت ثريا أثناء فترة الخطبة وقبل عقد القران بالتيفود ، اشيع فى طهران ان الاميرة اشرف قد دست السم لخطيبة شقيقها لانها ليست راضية عنها ! !

وحدث يوم زفاف الامبراطور الى ثريا ان تضايقت الاميرة اشرف من بعض ترتيبات الزفـاف فاذا هى فجـأة تنسحب من قصر جولسـتان الذى اقيمت فيـه الحفلة ، وتعود الى بيتها غاضبة !

وتبدى الاميرة اشرف اهتماما كبيرا بالاصـلاح الاجتماعى فهى

رئيسة هيئة « سازمان شاهنشاهى خدمات اجتماعى » اى المؤسسة الامبراطورية للخدمة الاجتماعية وهى اضخم الجمعيات الخيرية فى ايران

ولكن العارفين فى ايران يقولون :

ـ ان المسائل الاجتماعية بالنسبة لاشرف الجميلة الذكية ليست الا مجرد هواية ، اما عملها الاصلى فهو السياسة !

وللاميرة اشرف جماعة كبيرة بين سياسيى ايران منهم رؤساء وزارات ووزراء وكبراء وهى تسيرهم وتحركهم ، وان البعض يقول انهم هم الذين يحركونها ويسيرونها !

ومن راى الاميرة اشرف انه يتعين على الملك ان يتخذ اجراءات حازمة وان يثبت وجوده فى الازمة والا جرفه التيار !. . واغرقه الطوفان !

والعضو الثالث فى الاسرة ، الاميرة شمس الملوك وهى الشقيقة الثانية للشاه . . والاميرة شمس تحاول جهدها ان تبتعد عن السياسة ولكن رايها الذى تلقيه لشقيقها دائما هو ان يلف مع الريح وان يدور مع الدوامات وان يحنى راسه للعواصف

ثم باقى افراد اسرة الملك . . . شقيقته الثالثة فاطمة التى تزوجت من الشاب الامريكى هيللر واشقاؤه الشبان الاربعة ، ان كلا منهم يعيش فى واد بعيد

فاطمة مشغولة بحبها لهيللر ، وقد جر هذا الغرام على شقيقها متاعب الدنيا والآخرة فى بلد اسلامى متعصب !

وعبدالرضا الذى عينه شقيقه مديرا لمشروعات السنوات السبع لم يدخل مقر ادارة المشروع الا مرة واحدة منذ ثلاث سنوات

وعلى رضا وغلام رضا ، يعيشان لشبابهما ويتركان لشقيقهما الاكبر محمد رضا بهلوى متاعب الملك وشئون

الامبراطورية ..

وقال لى احد اصدقاء الشـــاه :

ــ لقد دخلت على جلالته مرة اثناء احـــدى الازمات ، وكان جلالتـه ثائرا منفعـلا يروح فى مكتبه ويجىء ويزم شفتيه غضبا ويمسك احدى يديه بالاخرى من فرط الضيق والتأثر .. ثم نظر جلالته الى وقال فى صوت مختلج:

« ماذا افعل .. انى هنا وحدى . ولا احـد يشعر بمتاعبى ، بل ان الجميع يتآمرون على . بعضهم عن قصـــد وتعمـد ، والبعض بطيبـة وحسن نيـة ،ولكنى ادفع الثمن وحـدى . . وحدى »

وقال لى صديق الامبراطور :

ــ واختلج صـوت الملك وهويكرر كلمة « وحـدى » . . . « وحدى » . .

واحسست ان جلالته مقبـل على ازمة نفسية عنيفة ،ووجدت انه ربما فضـل ان لا يرى تأثره احـــد ، وفتحت باب الغرفـة وخرجت ، وتركت الملك لانفعالاته .. وحده فى مكتبه





هل تعرف بلادك ؟
سجل مناظر مصر الطبيعية الجميلة .. على أفلام
فرانيا
صنع خصيصاً ليلائم جو مصر
ferrania
8 pose 6x9 cm.
pellicola fotografica
Roll-Film
ferrania
ferrania
8 Exp. 3¼ x 2¼ inch.
8 pose 6x9 cm.
الوكلاء :
هـ . فصيبيان وشركاه
١٨ شارع فؤاد
الأول بمصر
ت ٤٩٢٦٤





محلات
محمد حوري
تعلن افتتاح صالة العرض
بعمارة آل طالب
شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)
لبيع :
ثلاجات نورج المشهورة
NORGE
وأجهزة راديو زينيت الأمريكية
وستروم السويدية
ZENITH
والآلة الكاتبة العالمية
أندروود
UNDERWOOD
العربية والافرنجية
للجملة : شارع عدلي باشا رقم ٩ تليفون ٤٩٥٩٤





كتاب اليوم
صاحباه
مصطفى أمين وعلى أمين
رئيس التحرير
عبد العزيز عبد العليم
كتاب شهرى
يصدر عن
دار أخبار اليوم
الادارة والتحرير
والاعلانات والتوزيع :
شارع الصحافة
المراسلات :
صندوق بوستة رقم ١٠
تليفون ٧٧٧٧٧
عشرة خطوط

الاشتراكات

فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و ١٢٠ قرشا بريد مستعجل ـ فى البلاد العربية والبلاد الداخلة فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل أو ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٦٫٥ بنس ـ فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ أو ٢٥ دولارا بالبريد المسجل



مطابع دار أخبار اليوم